

مذكرة مقرر

نقد التصوف ٤٧٢

طالبات الانتساب

د/ عفاف المعبدي

تعريف التصوف

- ما معنى كلمة (تصوف) ، وما هو اشتقاق هذه الكلمة ؟

الواقع أن مادة هذه الكلمة لم ترد في كتاب الله الكريم غير مرة واحدة في قوله تعالى : " ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين " ، ولم تكن معروفة في زمن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام بغير هذا المعنى ، أما استعمال كلمة (صوفي) أو (متصوف) في وصف إنسان مسلم فلا ، وإنما كان يقال : هو مؤمن وعابد وتقي وبرّ وصالح ومحسن ، فهذه ألفاظ إسلامية جاءت في الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، ولم تظهر كلمة (متصوف أو صوفي) وتشتهر إلا بعد ظهور الفتن والأهواء ، والصوفي اسم يدل على نسبة كالقرشي والمدني والمكي ونحو ذلك ، ونريد هنا أن نعرف من أين اشتقت هذه النسبة ،

فنقول : إن الباحثين في هذه النسبة تباينت آراؤهم حيالها ، فمن قائل بأنها نسبة إلى الصوف إلى قائل بأنها نسبة إلى الصفاء إلى قائل بأنها نسبة إلى الصفة إلى قائل بأنها نسبة إلى الصف إلى قائل بأنها نسبة إلى صوفة .

ونفند هذه الأقوال على النحو التالي :

أما النسبة إلى الصوف فالمراد به الصف الأول في الصلاة ، وذلك لتقدمهم على غيرهم وسبقهم لهم لكن القياس اللغوي لا يشهد لهذه النسبة ، إذ النسبة إلى الصف هي صَفِّي وليست صوفي ، ثم إن المتتبع لواقع حال القوم لا يجد ما يشهد لهم بصحة تلك النسبة من تقدم وملازمة للصف الأول في الصلاة ، بل إن حالهم على خلاف ذلك ، فبطلت هذه النسبة من حيث اللغة والواقع .

وأما النسبة إلى الصفاء فعلى زعم أنهم أصحاب النفوس الصافية الخالية من متعلقات الدنيا وأثقالها ، غير أننا نجد أن القياس اللغوي لا يشهد لهذه النسبة أيضاً ، إذ النسبة إلى الصفاء أن يقال صفائي أو

صفوي وليس صوفي ، ثم إن دعوى صفاء النفس ليس لها دليل يثبتها في الخارج إذ هو أمر داخلي لا يطلع عليه إلا علام الغيوب الذي يعلم السر وأخفى ، ولا يصح أن يعتمد في إثبات الدعوى على أمر داخلي لا يعلمه إلا الله ، فبطلت هذه النسبة أيضاً .

وأما النسبة إلى الصفة ، والمراد بهم أهل الصفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالقياس اللغوي أيضاً لا يشهد لها ، إذ النسبة إلى الصفة يقال فيها صُفِّي وليس صوفي ، ثم إن أهل الصفة لم يكونوا يتميزون عن غيرهم من المسلمين بمنهج خاص بهم لا في العقائد والأفكار ولا في الأقوال والأفعال _ كما هو حال الصوفية _ فبطلت هذه النسبة كذلك .

وأما النسبة إلى (صُوفَة) قيل إنها قبيلة من العرب كانت في الجاهلية تنسب إلى رجل من أبناء الغوث بن مر وكانت أمه لا يعيش لها ولد فنذرت إن ولدت ابناً أن تهبه للبيت وتربط على رأسه قطعة صوف ليعرف ، فولدت ابناً وفعلت به ذلك فصار الناس يقولون له صوفة لذلك ، لكن وإن كانت النسبة من حيث اشتقاق اللغة صحيحة فإن هذا القول ضعيف لأن تلك القبيلة لم تعرف بين العرب ثم إن الصوفية أنفسهم لا يرضون بهذه النسبة .

وأما النسبة إلى الصوف فعلى أساس أنهم لفرط بعدهم عن متع الحياة الدنيا لبسوا الصوف وكثر ذلك منهم فعرفوا به فنسبوا إليه ، والواقع أن النسبة من حيث الاشتقاق اللغوي صحيحة وقد ظهر هذا اللباس فيهم .

وزعم بعضهم أن كلمة (تصوف) مشتقة من كلمة (سُوف) وهي كلمة يونانية ومعناها الحكمة وأن الصوفية من الحكماء لذلك ينتسبون إلى الحكمة لكن يرد هذا القول بأن التصوف عرف عند العرب قبل ترجمة كتب اليونان إلى العربية ، لكن هذا القول يعجب المتصوفة ومن وقع في شراكتهم من ضعاف

العقول وأصحاب الأهواء ، وكذلك أعجب المستشرقين ومن سار على دربهم من أعداء الإسلام ، غير أننا لا نجد عند القوم شيئاً من الحكمة التي هي موافقة الصواب ، كما سيتضح لنا ذلك جلياً من خلال الاطلاع على ما عندهم من منهج عقدي وفكري وسلوكي بعيد كل البعد عن مقتضيات الحكمة ، والله تعالى أعلم .

فمن خلال عرضنا لتلك الأقوال في اشتقاق نسبة التصوف يتضح لنا أن التصوف ينسب إلى الصوف ليس إلا ، وأسباب ترجيحنا صحة النسبة إلى الصوف هي :

أولاً- صحة اشتقاق الكلمة من حيث اللغة .

ثانياً- كثرة لبسهم للصوف واشتهار ذلك فيهم .

ثالثاً- أنه يدل على التواضع وكسر النفس والتذلل والخضوع والعزوف عن متع الدنيا ، وهذا ما تزعمه المتصوفة .

رابعاً- إن كبار الصوفية جعلوا لبس الصوف ركناً هاماً لمن يريد الدخول في زمرةم ، فقد سئل أبو علي الروزباري عن الصوفي من هو ؟ فقال : من لبس الصوف على الصفاء .

خامساً _ إن الغزالي لما ذكر من يصرف له ما يوصي به المتصوفة جعل لبس الصوف أحد الأمور التي تميز من يستحق ذلك .

سادساً _ قال الطوسي: (إن سأل سائل فقال قد نسبت أصحاب الحديث إلى الحديث و نسبت الفقهاء إلى الفقه ، فلم قلت { الصوفية } و لم تنسبهم إلى أحد و لا إلى علم و لم تضيف إليهم حالاً كما أضفت الزهد إلى الزهاد و التوكل إلى المتوكلين و الصبر إلى الصابرين ! فنقول لك نسبتهم إلى ظاهر لبسهم) .

سابعاً- قال أبو نعيم الأصفهاني في الحلية معللاً سبب اختيارهم لبس الصوف : [إذ لا كلفة لآدمي في إنباته وإنشائه ، وإن النفوس الشاردة تذلل بلباس الصوف وتكسر نخوتها وتكبرها به لتلزم المذلة والمهانة]

ثامناً-قال ابن تيمية : [هؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة عليهم وهي لباس الصوف فقيل في أحدهم صوفي] .

تاسعاً-قال الشيخ أحمد أمين في كتاب (ظهر الإسلام) : [فلما جاء المتصوفة فلسفوا الزهد وجعلوه مقامات وأقساماً ، وكان من زهدهم لبس الصوف كما يفعل رهبان النصارى فسموا من أجل ذلك بالصوفية] .

- رأي بعض الصوفية في اشتقاق التسمية:

قال الشيخ عبد الواحد يحيى : [أما أصل هذه الكلمة فقد اختلف فيه اختلافاً كبيراً ووضعت فروض متعددة وليس بعضها أولى من بعض ، وكلها غير مقبولة ، وهي في الحقيقة تسمية رمزية وإذا أردنا تفسيرها علينا أن نرجع إلى القيمة العددية لحروفها ، وإنه لمن الرائع أن نلاحظ أن القيمة العددية لحروف كلمة (صوفي) تماثل القيمة العددية لحروف كلمة (الحكمة الإلهية) فيكون الصوفي الحقيقي إذاً هو الرجل الذي وصل إلى الحكمة الإلهية ،إنه العارف بالله إذ أن الله لا يعرف إلا به وتلك هي الدرجة العظمى (الكلية) فيما يتعلق بمعرفة الحقيقة] .

وقد تعقبه بعض العلماء بأنه قد انفرد بهذا الرأي الذي لم يوافق عليه أحد ، وهو قول غريب بعيد عن الصواب ، إذ لو أردنا أن نفسر المعاني بالقيمة العددية للحروف لأدى ذلك إلى الوقوع في المحذور من المتناقضات المرفوضة عقلاً وشرعاً فرب كلمة كفر جمعت من القيمة العددية ما لكلمة التوحيد وهكذا فلا يصح هذا المذهب أبداً .

وقال الدكتور عبد الحليم محمود - وهو من الصوفية المعاصرين - : [إنني أرى أن هذه الكلمة -يعني كلمة (تصوف) - لم توضع في الأصل للتصوف بمعناه الذي نفهمه الآن] .

ويفهم من كلامه أن كلمة (تصوف) أطلقت في بادئ الأمر إطلاقاً عفويا على ظاهر لبس القوم ،
لكننا إذا أعملنا الفكر في كلام السلف رحمهم الله في شأن من تعمد لبس الصوف وحرص عليه نجد أن
كلام الدكتور عبد الحليم محمود غير صحيح ، وهذه بعض أقوال السلف في حق من تعمد لبس
الصوف وحرص عليه ولزمه في أغلب أحواله .

يروى عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه سخر من ذلك فأنشد:

أيا كاسياً من جيد الصوف نفسه وعارياً من كل فضل ومن كيس

أتزهو به وهو بالأمس مصبح على نعجة واليوم أضحي على تيس

وروى عن الحسن البصري أنه قال في حق من تظاهر بلباس الصوف : [إنهم أكنُّوا الكبر في قلوبهم
وأظهروا التواضع في لباسهم والله لأحدهم أشدُّ عجباً بكسائه من صاحب المطرف بمطرفه]

وروي عن الإمام الأوزاعي رحمه الله أنه قال : [لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة] ، وذلك
لما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة صوف في سفر له ، وروي عن ابن سيرين رحمه الله تعالى
أنه بلغه أن أقواماً يتحرون لباس الصوف ، فقال : [أظن هؤلاء بلغهم أن المسيح كان يلبس الصوف
فلبسوه ، وهدى نبينا أحب إلينا من هدي غيره] .

وقال أبو العالية لرجل عليه ثوب صوف : [إنما هذه ثياب الرهبان] .

وقال حماد لرجل يدعى فرقد السنجي كان يلبس الصوف : [ضع عنك نصراً نيتك هذه] .

وقال سفيان الثوري لرجل منهم : [لباسك هذا بدعة] .

وقال ابن تيمية : [إن اتخاذ لباس الصوف عبادة وطريقاً إلى الله تعالى بدعة ، وأما لبسه للحاجة
والانتفاع به لعدم وجود غيره ونحو ذلك فحسن مشروع والامتناع من لبسه مطلقاً مذموم لاسيما من ترك
لبسه تكبراً وخيلاء] .

ويرى ابن خلدون أن المتصوفة آثروا لباس الصوف ليطمئنون به عن غيرهم من المنتسبين للإسلام .

وقد زعم القشيري أن لبس الصوف غير مختص بهم ، فرد عليه ابن خلدون بأنه لو استعرضنا طوائف الناس لم نجد منهم طائفة غلب على أفرادها لبس الصوف غيرهم ، ثم إنهم يلبسونه تزهدا وتورعاً عن لبس فاخر الثياب أما سائر الناس فيلبسونه لغير هذا الغرض .

- تعريف التصوف عند المتصوفة :

عرف التصوف عند أهله بتعريفات متعددة ومتباينة فيما بينها تبايناً كبيراً جداً ، وما ذاك إلا لأنه أمر وجداني ينبع من الذوق الفردي الخاص فاختلقت تعريفاته بحسب اختلاف أذواق من عرفه .
وقد نبه ابن خلدون إلى ذلك حيث قال عنه : (إنه علم لا يمكن التعبير عنه لأنه أمور ذوقية وجدانية وكل واحد عبر بما وجد)

ونذكر هنا أشهر تعريفاته عندهم فنقول :

عرف الجريدي التصوف فقال : (التصوف هو الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق ديني) .
وقال القصاب في تعريفه : (التصوف أخلاق كريمة) .

وقال أبو عثمان الحيرى : (التصوف الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله باتباع سننه ولزوم ظاهر العلم) .

وقال الجيلاني : (التصوف هو الصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق) .

وقال الهروي الأنصاري : (هو بذل المعروف وكف الأذى) .

وأما الجنيد فعرف التصوف بقوله : (التصوف هو أن تكون مع الله بلا علاقة) ، و له ايضاً تعريف آخر يقول فيه : (التصوف هو أن يملك الحق عنك و يحبك به) .

و قال أبو الحسين النوري : (التصوف ترك كل حظوظ النفس) .

و قال الشبلي : (هو برقة محرقة) .

أما الصوفي عندهم فقد عرفه التستري بقوله : (الصوفي من صفا من الكدر وامتلاً من الفكر وانقطع من البشر واستوى عنده الذهب والمدر) .

وقد فرق ابن سينا في كتابه [الإشارات] بين الزاهد والعابد والصوفي حيث قال : (المعرض عن متاع الدنيا يخص باسم الزاهد ، والمواظب على فعل العبادات يخص باسم العابد ، أما المنصرف بفكره إلى قدس الجبروت مستديماً لشروق نور الحق في سره فيخصص باسم العارف) _ والعارف عنده هو الصوفي .

- أما التصوف عند المتأخرين من الصوفية فيصوره لنا الدكتور زكي مبارك فيقول : (التصوف هو كل عاطفة صادقة متينة الأواصر قوية الأصول لا يساورها ضعف ولا يطمع فيها ارتياب) .

ويقول الشيخ أبو الفضل المنوفي : (نسبة التصوف من الدين نسبة الروح من الجسد لأنه مقام الإحسان الذي فسره الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل ، وفائدته تهذيب القلوب ومعرفة علام الغيوب ، وثمرته سخاوة النفس وسلامة الصدر وحسن الخلق مع كل المخلوقين) .

ويقول الشيخ أبو العلاء عفيفي : (هو المظهر الروحي الديني الحقيقي عند المسلمين لأنه المرأة التي تنعكس على صفحتها الحياة الروحية الإسلامية في أخص مظاهرها فإذا أردنا أن نبحث عن العاطفة الدينية الإسلامية في صفاتها ونقائها وعنفتها وحرارتها وجدناها عند الصوفية) .

لكن الدكتور عبد الحلیم محمود يرى أن إرجاع التصوف إلى القيم الأخلاقية وحدها لا يعبر تعبيراً دقيقاً عن التصوف ويستدل على ذلك بأن كل من رويت عنهم التعاريف التي تؤكد على الجانب الأخلاقي قد رويت عنهم تعاريف أخرى مما يدل على عدم كفاية الجانب الأخلاقي في تحديد ماهية التصوف ، كما أن كثيرين ممن اشتهروا بالسمو الأخلاقي ليسوا من المتصوفة من أمثال الحسن البصري وغيره ، فالأخلاق والمثل العليا قد تكون ثمرة للتصوف لا أنها هي التصوف . قلت : من عرف حقيقة التصوف ونشأته علم

أنه لا يثمر أخلاقاً ولا مثلاً علياً وإنما ينتج زندقة وإلحاداً فالأخلاق الفاضلة والمثل العليا بريئة كل البراءة من التصوف .

وهناك من جعل التصوف رديفاً للزهد وهذا خطأ فأكثر الزهاد ليسوا من المتصوفة ، فالزهد شيء والتصوف شيء آخر ، وهكذا يقال في العابد إذ الإكثار من العبادة ليس مرتبطاً بالتصوف فالعبادة شيء والتصوف شيء آخر .

تعريف الصوفية اصطلاحاً

: حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري، تدعو للزهد وشدة العبادة تعبيراً عن فعل مضاد للانغماس في الترف ، ثم تطور حتى صار طرقةً مميزة تبنت مجموعة من العقائد المختلفة والرسوم العملية المخترعة تكونت من مناهج كثيرة

نشأة التصوف

يلزمنا للاطلاع على نشأة التصوف أن نعرف من أين جاء ، وكيف وصل إلى بلاد المسلمين ؟

وللإجابة عن هذين السؤالين نقول :

كان أول ظهور هذا المسلك عند الهندوس الذين يقسمون المجتمع إلى عدة طبقات بعضها أدنى من بعض فالطبقة العليا عندهم هي طبقة البراهمة وهم الذين خرجوا من رأس الإله بزعمهم ، ثم طبقة الكاشتر وهم الذين خرجوا من ذراع الإله بزعمهم ومهمتهم حمل السلاح للدفاع عن البراهمة ، ثم طبقة الويش وهم الذين خرجوا من فخذ الإله كما يزعمون وهم الصناع والتجار والزراع ، ثم طبقة الشودر وهم الذين خرجوا من أرجل الإله بزعمهم وهم طبقة المنبوذين وعملهم مقصور على خدمة الطبقات السابقة التي هي أعلى منهم رتبة وخاصة طبقة البراهمة ، ولا يجوز عندهم أن يتزوج رجل من طبقة أعلى من طبقته ، ويجوز أن يتزوج من طبقة أدنى من طبقته باستثناء طبقة الشودر إذ لا يجوز لأحد من الطبقات الثلاث الأولى أن يتزوج منهم أبداً ، وعندهم أن طبقة الشودر هؤلاء أحط درجة من البهائم وأذل من الكلاب ، كما أنه لا يحق لأحد من طبقة ما أن ينتقل إلى طبقة أعلى منها أو أدنى على الإطلاق ، ومن أسس معتقدات الهندوس أن من لم يرغب في شيء وتحرر من جميع الشهوات فإن روحه تنطلق بعد موته لتتحد بالبراهمة ، وعندهم أن البرهمي يرتقي في أربع مراتب ، الأولى التلميذ وهو صغير السن ، الثانية رب الأسرة ، الثالثة الناسك ، الرابعة الفقير وهو الذي يخرج من حكم الجسد إلى حكم الروح فيقترب من الإله كما يزعمون ، وبدهي أن الطبقة السفلى المنبوذة والتي تعاني الأمرين من جراء معاملة الطبقات الأخرى لهم تتكون لدى أبنائها الرغبة القوية في التخلص من ذلك الوضع المخزي الذي فرض عليهم رغماً عنهم بلا جريرة منهم فيتطلعون إلى الوصول إلى الطبقات العليا وبخاصة طبقة البراهمة ذات السيادة المطلقة والامتيازات الكبيرة والنفوذ الواسع ، وقد علمنا أن من أسس معتقداتهم أن من لم يرغب في شيء من متع الدنيا فإن روحه تتحد بالبراهمة بعد موته ولا شك في أن هذه العقيدة دفعت بأعداد من تلك الطبقة المقهورة إلى ترك كل متع الحياة والخروج إلى البراري والجبال والعيش داخل الكهوف في ظل الأحلام الوردية العذبة يمنون النفس بكل جميل ويعيشون على أوهام أمل خادع ينتظرونه بفارغ الصبر فيشعر أحدهم بشيء من السعادة والرضى لأنه تخلص من ذلك الرق الذي فرضه عليه المجتمع ظلماً وعدواناً ، وشيئا فشيئا تكاثرت أعداد الهارين من الذل والقهر حتى أصبحوا مجموعات صغيرة تتوارث

حياة العزلة والخيال ، حتى عرفوا بالكهفيين لأنهم سكنوا الكهوف أو الفقراء ، ثم صاروا يبررون حالهم بمبررات يحاولون تصديقها ثم غدت تلك المبررات قواعد وأسس لمنهجهم الخاص هذا الذي يقوم على الكسل والتواكل والخمول والبعد عن الواقع المؤلم بالنسبة لهم ، ومما لا شك فيه أن هذا المنهج بعيد كل البعد عن الدين الإسلامي الحنيف دين العمل والنشاط والعطاء والحيوية ومعايشة الواقع بكل شجاعة والعمل فيه بإيجابية كاملة .

أما عن كيفية انتقال هذا المنهج إلى المسلمين فنقول : لما اتسعت الفتوحات الإسلامية في كل اتجاه وأزالت عن الساحة دول الكفر من مجوس ويهود ونصارى ودخلت شعوب تلك الملل في الإسلام كان دخولهم على صنفين ، صنف دخل في الإسلام عن رضا وقناعة لما رأى في الإسلام من عدل وسماحة وخير فحسن إسلامه حتى كان منهم العلماء الذين يفخر بهم المسلمون في كل مكان وزمان ، وقسم لم يرض بالإسلام بديلاً عما كان عليه لكنه رأى أن من مصلحته أن يظهر الإسلام حتى يسلم من الرق أو الجزية ولقد غص أولئك بهذا المجد و ذلك العز الذي تحقق للمسلمين فأضرموا الحقد على الإسلام والمسلمين وصاروا يعملون للنيل من الإسلام وأهله ولم تكن الفرصة متاحة لهم للظهور على الساحة والمجاهرة بأهدافهم ونواياهم إبان حكم بني أمية ، فإن العهد قريب والدولة الإسلامية في حماس شديد لنشر الإسلام وتوسيع رقعته في الأرض فأخفوا رغبتهم وظلوا يتربصون بالمسلمين الدوائر حتى إذا بدت بوادر ضعف الدولة بادروا إلى معاونة بني العباس في القضاء على بني أمية ، لا حباً في بني العباس وإنما تشفياً من المسلمين ورغبة في إحداث الفوضى والتفرقة بين أبناء الأمة الواحدة - خاصة وأن بني أمية كانوا يتعصبون للعرق العربي مما أوغر صدور الشعوب غير العربية على الدولة - وعلى أكتافهم قامت الدولة العباسية وتنفس أولئك الصعداء فقد سنحت لهم الفرصة ليعملوا على تحقيق غاياتهم في إبعاد المسلمين عن دينهم الذي هو مصدر قوتهم وسب عزهم ورفعتهم ، فصاروا يظهرن التزهّد والعزوف عن متع الحياة الدنيا لينالوا المكانة الرفيعة عند العامة والخاصة فتحصل لهم بذلك نشوة النصر بغير جيش أو سلاح ، وجهدوا في ترجمة الكتب التي تحمل الفلسفات الهندية والإغريقية والفارسية إلى اللغة العربية - لغة أكثر المسلمين في ذلك الوقت - لكي تزاحم تلك الأفكار الغربية عن الدين العلوم الإسلامية فيقع

في شراكتهم من يقع ، وبالفعل تم لهم ما أرادوا فوقع بعض المسلمين ممن أحسن الظن بهم ولم يفتنوا لمكرهم ولم يفهم الإسلام الفهم الصحيح .

وهكذا دخل هذا الداء الخبيث إلى جسم الأمة الإسلامية ثم أخذ ينمو حتى استفحل أمره وعظم خطره نسأل الله العافية .

- وخلاصة القول هي : [إن الذين أدخلوا التصوف إلى بلاد المسلمين هم الحاقدون على الإسلام والمسلمين ليفسدوا على المسلمين دينهم] .

كيف دخل التصوف على المسلمين:

إن مما لا شك فيه أن التصوف هو أكبر بدعة أدخلت على الدين الإسلامي الحنيف ، حتى قال القائل في ذلك : (إن التصوف هو أدنأ وألأم كيد ابتدعه الشيطان ليسخر معه عباد الله في حربه لله ولرسوله ، إنه قناع الجوس يتراءى أنه رباني) ، وقال آخر : (وجه الخطر في الصوفية أنها غطيت بألوان السحر البياني والفتون والخيالي فلا ينجوا منها إلا العاملون الأقوياء عقولاً) ، وقال الدكتور صابر طعيمة : (إن مسار هذه الجماعة التي انطلقت تحمل مؤثرات غير إسلامية لم تكن بالمستوى الذي كان عليه السلف من المسلمين فتعرج ذلك المسلك في اتجاهات عدة حتى كادت أن تنقطع الصلات والروابط التي بينهم وبين الإسلام ، وحتى إنه ليتمكن القول وبغير تجاوز أنه قد ضل عبر مسار التاريخ الإسلامي الطويل معظم المنخرطين في سلك الجماعات الصوفية) .

وكما هو معلوم أن البدعة أول ما تدخل على الناس تدخل من باب الاستحسان وتبدأ صغيرة لا يفتن لها العامة ، وإن الزهد أمر حسن جميل يستحسنه كل مسلم ، وبدعة التصوف دخلت من باب استحسان الزهد ، وقد علمنا سابقاً أن نفعاً من المسلمين قد أحسنوا الظن بأعدائهم ولم يفتنوا لمكرهم

فحاولوا الاقتداء بهم لما رأوا فيهم من إعراض عن ملذات الحياة الدنيا و طيباتها باسم الزهد ، وقد كان أولئك نفر الأوائل على قدر كبير من صدق العاطفة وقوة اليقين والرسوخ في العلم وكان منهجهم يقوم على أسس صحيحة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف مستنيرين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أمثال الفضيل بن عياض وابنه علي رحمهما الله .

ونستطيع أن نقول إذاً : (بدأ التصوف باسم الزهد لكنه لم يكن زهداً في الحقيقة).

علاقة التصوف بالزهد:

الحق أن التصوف شيء والزهد شيء آخر لكن المتصوفة لما أرادوا الدخول على المسلمين لإفساد أمرهم لم يجدوا غير الزهد مدخلا لأن الزهد أمر مطلوب في الإسلام والزاهد محترم مبجل فكان هذا هو الباب الذي دخل منه المتصوفة على الناس .

هذه خلاصة العلاقة بين الزهد والتصوف ، لكن ما حقيقة الزهد في الإسلام ؟ وما الذي طرأ عليه ؟ وهل بقي الزهد زهداً إسلامياً كما بدأ ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة نقول :

الزهد أمر مشروع في الإسلام حث عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، فمن نصوص الكتاب الكريم قول الحق تبارك وتعالى : " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً " .

ومن نصوص السنة المطهرة قوله صلى الله عليه وسلم : (اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرنني في زمرة المساكين) ، وقوله : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء)

ولما فهم بعض الصحابة من هذه النصوص وأمثالها أن عليهم ترك الطيبات والإعراض عن الحياة السوية فقال أحدهم : أنا لا أتزوج النساء وقال الآخر : أنا أصوم ولا أفطر وقال الثالث : أنا أصلي الليل كله ولا أنام ، بين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن الأمر ليس كما فهموا وأنه عليه الصلاة والسلام أتقى الناس وأشدهم خشية لله سبحانه لكنه يصوم ويفطر ويصلي وينام ويتزوج النساء وأن هذا هو الهدى السوي ولا ينبغي لأحد أن يعدل عنه لأن من رغب عن سنته فليس منه ، واستجاب الصحابة لتوجيهات نبي الهدى عليه الصلاة والسلام فعاشوا حياة الزهد الذي ينسجم مع الكتاب والسنة لا سلبية فيه في النظرة إلى الدنيا والمال وعرفوا أن الزهد يكون في القلب قبل الجوارح وأنه يكون مع السعة والغنى كما يكون مع الفقر ، فعاشوا حياة البساطة في كل أمر أبعد الناس عن التكلف والتصنع يرفضون كل ما يخالف الفطرة وكانوا لكمال إيمانهم وقوة عزمهم لا يلتفتون إلى زخرف الحياة الدنيا وبهرجها الزائف .

ونحن نعرف أن الدولة الإسلامية أخذت تتسع في كل الاتجاهات وصارت الأموال تتدفق على بيت المال من الخراج والزكاة والفيء والغنائم حتى أنه في زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه كان لا يكاد يمر يوم إلا وأموال تقسم وتوزع على المسلمين فعم الرخاء وزاد المال في أيدي الناس ، ولما انقضى عصر الراشدين وجاء عصر بني أمية زادت موارد الدولة واتسعت رقعة البلاد الإسلامية أكثر وأكثر وبدأ الترف والإقبال على الدنيا والافتتان ببهرجها الزائف والانغماس في الشهوات والملذات وجمع الأموال والثروات ، ونتج عن ذلك رد فعل قوي عند كثير من التابعين كان منشؤه الإيمان القوي الصادق والرغبة في السير على الجادة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ، لكن رد الفعل هذا كان في بعض الأحيان أقوى مما يجب فصار بعضهم يذم الدنيا ويحتقرها ويدعوا إلى ترك كل ما فيها ويؤثر حياة العزلة والانفراد عن الناس خشية أن تفتنه زخارف الحياة الدنيا فصار يستغرق في العبادة وينقطع لها عن كل شيء ، ولقد نقل عن بعضهم أنه كان يصعق عند قراءة القرآن ، وهذا أمر لم يكن موجوداً في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولعل الباعث لهم على هذا الغلو حسرتهم على فوات لقاء الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم فأرادوا أن يكملوا ذلك النقص بالاجتهاد والإمعان في العبادة ، ولقد روي عن الصحابة الكرام ذم حال هؤلاء لأنهم أحدثوا أمراً لم يكن موجوداً

على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فهذا عبد الله بن عمر لما مر برجل قد سقط عند قراءة القرآن فقال : ما شأنه قالوا : إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا ، فقال إنا لنخشى الله وما نسقط .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى سمعنا للقوم خنياً حين أخذتهم الموعظة وما سقط منهم أحد .

وقيل لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قراءة القرآن ؟ قالت : كانوا كما ذكرهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم ، فقيل لها : إن هاهنا رجالاً إذا قرئ على أحدهم القرآن غشي عليه ، فقالت : أعوذ بالله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن خير الإسلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وخير القرون القرن الذي بعث فيهم وإن أفضل الطرق والسنن إلى الله ما كان عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه وإن على المؤمنين أن يتقوا الله بحسب اجتهادهم ووسعهم كما قال الله تبارك وتعالى : " فاتقوا الله ما استطعتم " ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : [إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم] ، وإن كثيراً من المؤمنين المتقين أولياء الله قد لا يحصل لهم من كمال العلم والإيمان ما حصل للصحابة فيتقي الله ما استطاع بحسب اجتهاده فلا بد أن يصدر منه خطأ إما في علومه وأقواله وإما في أعماله وأحواله ، ويثابون على طاعتهم ويغفر لهم خطاياهم فمن جعل طريق أحد من العلماء والقراء أو طريق أحد من العباد والنسك أفضل من طريق الصحابة فهو مخطئ ضال مبتدع ، ومن جعل كل مجتهد في طاعة أخطأ في بعض الأمور مذموماً معيباً ممقوتاً فهو مخطئ ضال مبتدع) .

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال ما هذا ؟ فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم ، فقال النبي : (مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهكذا ما يراه الناس من الأعمال تقرباً إلى الله ولم يشرعه الله ورسوله فإنه لا بد أن يكون ضرره أعظم من نفعه ، وإلا فلو كان نفعه غالباً على ضرره لم يهمله الشارع ، فإنه صلى الله عليه وسلم حكيم لا يهمل مصالح الدين ولا يفوت على المؤمنين ما يقربهم إلى ربه . أه .

أما المتصوفة فإن لهم اتجاه آخر غير الزهد فهم يرون أن السعي في طلب الرزق سوء ظن بالله عز وجل وأن الزواج معصية يعاقب فاعلها بالذرية ، وفي مثل هذا يقول الجنيد : (أحب للمبتدئ أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغير حاله ، التكسب وطلب الحديث والتزوج) ، ومن أقواله أيضاً : (الحيلة ترك الحيلة والاهتمام بطلب الرزق يؤذي الدين والأخذ بالأسباب يبعد المطالب)
وقال آخر : (من تزوج فقد ركب البحر فإن ولد له فقد غرق) ، ويروي الشعراي عن أبي رباح القيسي قوله : (لا يبلغ الرجل منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة وأولاده كأنهم أيتام ويأوي إلى مزابل الكلاب) .

ويقول ابن عطاء الاسكندري : (لا تختار من أمرك شيئاً واختار أن لا تختار ، وإن المدبر لنفسه مع الله يبني والله يهدم ، والتدبير شجرة تسقى بسوء الظن بالله وثمرتها القطيعة عن الله ، ولو أحسن العبد الظن بالله لماتت شجرة التدبير في قلبه) .

ويروي الشعراي في معرض ذكر كرامات القوم أن الشيخ مرشد كان يطوي الأيام والليالي وأنه مكث أربعين سنة يأكل في كل يوم زبينة حتى لصق بطنه بظهره ، وأن الولي عيسى بن نجم مكث بوضوء واحد سبع عشرة سنة وأنه نام طول هذه المدة ولما استيقظ صلى بوضوئه السابق وكان في وسطه منطقة فلما حلها تناثر الدود من وسطه .

ويروي الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين ٤/٤٠٣ أنه قيل لأبي يزيد البسطامي حدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك ، فقال نعم دعوت إلى الله نفسي فجمحت علي فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم فوفت لي .

هذا هو منهج القوم ، وشتان بين هذا المنهج وبين الزهد الإسلامي الذي حث عليه الدين الحنيف

وهكذا نجد أن المتصوفة قد ساهموا مساهمة كبيرة في ضياع شخصية الأمة الإسلامية وحولوها إلى مسخ مشوه تنفر منه الطباع السليمة والعقول المستقيمة ويأنف من النظر إليه كل ذي بصيرة .

قال بعض الباحثين في التصوف : (إن من الإجماع أن نصف المفلسين العاجزين بالزهد والعفة لأن الزهد يكون ممن قدر على الكثير فرضي بالقليل والعفة تكون لمن كف عن رغبة وقدرة وليس لمن عجز وضعف .

الفرق بين الزاهد والصوفي

أن هذه التفرقة الحاسمة بينهما تكون في الهدف أكثر منها في الأسلوب والمنهج.

الزاهد:

زهد غير الصوفي هدفه الاستمتاع في الآخرة فهو يشتري متاع الآخرة بمتاع الدنيا.

هدفه من عبادته دخول الجنة.

الصوفي:

أما الصوفي فيزهد في الدنيا تنزهاً من أن يشغله شيء عن الله تعالى.

هدفه استدامة صلته بالله تعالى

الموقف الصحيح تجاه شطحات الصوفية

بين ابن القيم أن هذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس:

إحداهما: اعتبرت كل ما لديهم مردود ، وأنكروا هذه الشطحات غاية الإنكار وأساءوا الظن بهم

مطلقاً. وهذا عدوان وإسراف! فلو كان كل من أخطأ أو غلط تُرك جملة وأهدرت محاسنه،

لفسدت العلوم والصناعات والحكم وتعطلت معالمها.

والطائفة الثانية : قبلوا كل ما لديهم، وهؤلاء أيضا معتدون مفرطون.

والطائفة الثالثة: - وهم أهل العدل والإنصاف- الذين أعطوا كل ذي حق حقه، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح، بل قبلوا ما يقبل وردوا ما يرد .

أسباب انتشار التصوف بين المسلمين:

مما تقدم من حكاية التسلسل التاريخي الذي مر به التصوف تبين لنا أن نشأة التصوف وانتشاره يرجع لعاملين مهمين هما:

أولاً: البذخ الدنيوي والإسراف في الملذات والشهوات الجسدية والذي خرج عن حد الاعتدال الأمر الذي حدى ببعض من أنكرت نفوسهم هذا النوع من السلوك ولم يستطيعوا أن يقاوموا ذلك التيار الجارف أن يعتزلوا تلك المجتمعات ويفروا بأنفسهم متخذين لمسلك الزهد والتقليل من المباحات والحرص على أصناف التعبادات طريقاً سلوكياً لهم وقد استشفوا من بعض النصوص الشرعية دليلاً لهم على مسلكهم هذا كحديث البذاذة من الإيمان وحديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولخرجتم في الصعدات تجأرون .

ثانياً : المؤثرات الخارجية عن طريق التأثير بأفكار الأمم الأخرى من يونان وهنود ويهود ونصارى وسواهم عن طريق من دخل في التصوف من فلاسفة وغيرهم .

فعموم الفرق التي انشقت في جسم الأمة أو عنها يرى أنها تبدأ بمؤثرات سهلة غالباً مؤثرات داخلية نتيجة ردود فعل في المجتمع ثم بعد ذلك يزيد انحرافها عن طريق المؤثرات الخارجية والتي تجد في هذا الانحراف طريقاً لتثبيت أفكارها في نفوس هؤلاء المنحرفين .

هذا ويمكن التماس عدة أسباب أخرى أثرت في انتشار الصوفية هي : أولاً : استعمال الخارق للعادة

كطريق من طرق إثبات الولاية

والصلاح مما يجذب العامة وكذا فقد كثر في رجال التصوف السحرة والدجالون والمشعوذون ومن يستعين بالجن والشياطين مما يجعل التصوف من أعظم الطرق لنشر الخرافة والوثنية بين المسلمين .

ثانيا : استعمالهم الرقص والغناء وغيرها من المنكرات مما يغري كثيرا من الفساق بصحبتهم والانخراط في ما هم عليه من سلوكيات كصحبة المردان .

ثالثا : استعمالهم الأساليب الباطنية من إخفاء الأسرار وعدم كشفها إلا لمن سلك طريقهم بدعوى أن غيرهم لا يمكنه استيعابها ولا فهمها بل ربما حملها مالا تحمل بحسب دعوهم .

رابعا : التساهل في التمسك بالشرائع الإسلامية مما يغري المتساهلين والمحبين للهروب من سلطان الشريعة أن ينتسب إليهم حتى يهرب من عهدة التكليف بدعوى اهتمامهم بالباطن دون الظاهر والمعمول في الشريعة كما يدعون على الباطن فقط .

خامسا : خداعهم للعامة بلبس المرقعات وإظهار الزهادة في الدنيا وملذاتها وادعاء الدعاوى العريضة في محبة الله والرضا بالقضاء والقدر والصبر على البلاء .

سادسا : الجانب الإعلامي الذي يقوم به الصوفية عن طريق الألقاب والألعاب المتنوعة على أنفسهم وسلوكيات مذهبهم .

علاقة التصوف بالتشيع :

نرى بوضوح العلاقة الوثيقة بين التصوف والتشيع من خلال ما يزعمه المتصوفة بأنهم أهل الحقائق الباطنة التي لم يطلع عليها سوى الخاصة ، وأن هذه الحقائق هي عين ما خص به النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه دون غيره من المسلمين ، وهذا القول هو ما يدعيه الشيعة لأنفسهم ، والحق أن هذا القول فيه اتهام للنبي صلى الله عليه وسلم بالخيانة لأنه يلزم منه أنه عليه الصلاة والسلام أخفى عن المسلمين شيئا مما يهمهم في دينهم _ وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك _ وقد قال له ربه تبارك وتعالى في محكم التنزيل : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس } ، فكيف يصح عند مسلم أن يزعم مثل هذا الزعم الباطل ، إنه لا

يقول بهذا القول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، ثم إن التاريخ يثبت أن الشيعة هم أول من جلب التصوف إلى بلاد المسلمين باسم الزهد كما قد عرفنا من قبل ، ولعل سبب ذلك هو أنه بعدما غلب بنو أمية على الخلافة انقمع كل من كان يظهر التشيع لآل البيت ولم يجرؤ على المجاهرة بما يخالف حكم بني أمية - خلافاً للخوارج الذين كانوا يجاهرون بالعداء لبني أمية - فوجد أولئك في التصوف متنفساً لهم وستاراً يختفون تحته دون أن يشعر بهم أعداؤهم فيتمكن الواحد منهم من خداع أكبر عدد ممكن من العامة ويفرض عليهم شخصيته بكلام وأحوال يصطنعها ليستميل قلوبهم إليه فيعظمونه ويجلونه وهنا يشعر بالفخر والكبرياء يملأ نفسه ويشعر بنشوة الانتصار بدون حرب أو قتال وما ذاك إلا من نفخ الشيطان والعياذ بالله ، - وهاهنا أمر جدير بالانتباه له والتنبيه عليه وهو أن محبة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة على كل مؤمن بل لا يصح إيمان العبد بغير محبة الرسول الكريم ومحبة آل بيته الكرام صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأما دعوى ضرورة أن تكون الخلافة فيهم فهي دعوة باطلة ، لأن المحبة والموالاته شيء وتولي السلطة شيء آخر ، لكن أولئك الذين يتظاهرون بالتشيع لآل البيت إنما غرضهم إحداث الفتنة والفرقة بين المسلمين ليتمكنوا هم من استعادة أمجادهم القديمة من مجوسية ويهودية حاقدة على الإسلام وأهله .

أركان التصوف:

أركان التصوف التي يبني عليها هي : (الكسل ، الجهل ، الفقر)

والواقع أن الكسل أدى إلى امتناعهم عن طلب العلم لأن في طلب العلم نوع مشقة وتعب وجهد وهذا لا يتناسب مع حال الكسل ، فلما امتنعوا عن طلب العلم وقعوا في الجهل ، ومعلوم أن الجهل هو أعظم داء يصاب به الإنسان فالجاهل عدو نفسه قبل أن يكون عدو غيره ، وإن الشيطان ليلعب بالجاهل لعب الصبيان بالكرة فيرميه في أوحال الإلحاد والزندقة من حيث لا يعلم ، ثم إن الكسل أدى بهم إلى ترك العمل وطلب الرزق بالطرق الشريفة المشروعة فأصابهم الفقر وصاروا عالة على غيرهم في كل شيء حتى في طعامهم وشرابهم حتى إنه كان لبعضهم من المعجبين بعدد أيام السنة فينزل في كل يوم عند واحد منهم فيطعمه وسقيه ويؤويه في ذلك اليوم - وما أبعد حال هؤلاء عن الإسلام دين العمل والجد والنشاط والعطاء - لكن الحقيقة التي يجب أن لا تغيب عن الأذهان هي أن أولئك الذين أضمروا الحقد على الإسلام وأهله ممن عرفنا حالهم بدأوا بتحطيم عقيدة التوحيد التي قامت عليها الأمة

الإسلامية وانبنى عليها مجد المسلمين ، فأرسلوا دعواتهم في البلاد يتظاهرون بالزهد والتقشف والعبادة وينشرون في الناس من وراء ذلك سموم الشرك والإلحاد والفوضى في العقيدة والفكر ، فهم يلقنون أتباعهم عقيدة الحلول والاتحاد ويعرون الناس بالرديلة حتى قال بعض العلماء : (إن الصوفية هم الذين نشروا الشذوذ الجنسي في المجتمعات ، ويشجعون على الاستخفاف بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف والترخص في أوامره ونواهيه ، فيبيحون المحرمات ويحرمون الطيبات ويتأولون القرآن بتأويلات تتناسب مع مذهبهم الباطل حتى جعلوا للقرآن ظاهرا وباطنا ويضعون الأحاديث كذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤيدوا بها باطلهم ويخلطون في كلامهم فيدعون رؤية الملائكة ومحاطبتهم والأخبار بالغيب والقدرة على شفاء المريض ورد الغائب ، وهم في كل ذلك يحدثون طوائف الناس بما يناسب ميولهم ورغباتهم وأحوالهم ويخدعون البلهاء والعامّة بالسحر والشعوذة ويقولون عنها إنها كرامات .

ولقد كانت بذور التصوف هي المحاولة الأولى التي سعى بها الشعوبيون لتفويض الدولة الإسلامية الناشئة وانتهاج ميراثها ، ثم تبعتها مرحلة أخرى حيث اندس أعوانهم بين صفوف المسلمين ونهضوا بدعوة القرامطة ليوسعوا بذلك شقة الخلاف والفرقة حتى يتم انخيار الأمة الإسلامية تماما.

البدع العلمية والعملية للمتصوفة

البدع العلمية للصوفية

وقع المتصوفة في بدع علمية وعملية ونعني بالعلمية الأمور النظرية التي اعتنقوها وابتدعوا فيها في العقيدة الإسلامية وأما الأمور العملية فهي الشعائر التي يمارسونها عملياً والتي ابتعدوا فيها أيضاً عن المنهج الإسلامي الصحيح .

وبما أن العمل تابع للعلم فقد قدمنا الكلام عن البدع العلمية ، فمن انحرف وابتدع في العلم فسوف ينحرف في العمل ، وكل هذا بسبب الابتعاد عن منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال والنظر .

وتسمية هذا الانحراف بدعة لا يخفف من خطره ، فقد تكون البدعة صغيرة وقد تكون كبيرة تصل إلى حد الكفر ، فمن يعتقد بوحدة الأديان وأن القطب الغوث يتصرف في الكون فقد كفر وأشرك . وأصل البلاء كله هو عدم متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم والقرون المفضلة ومحاولة الزيادة على ذلك عن سوء نية أو عن حسن نية .

ولا يسلم لهم قولهم بالبدعة الحسنة لأن البدعة لا تكون إلا سيئة كما جاءت منكراً في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " وكل بدعة ضلالة " وهي بهذا الوصف تحتاج إلى تعريف محدد واضح ونختار هنا التعريف الذي جاء في كتاب (الاعتصام) قال : " طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه " . فهي طريقة في دين وليس في الدنيا فلو قال المبتدع لماذا لا تقولون أن استعمال الآلات الحديثة بدعة لقلنا : هذه طريقة في الدنيا ، وهي طريقة مخترعة يعهد مثلها من قبل وليس لها أصل أما العلوم المخترعة كعلم النحو وأصول الفقه فهذه لها أصل من حفظ الدين وتدخل في باب المصالح المرسله ، الحقيقة كذلك ولم يكن هناك تشابه لما أتى بها المبتدع لأن الضرر المحض تنفر النفوس منه ، ولكن شبهة التشابه هي التي أوقعته في مأزق الابتداع . والحقيقة أن البدعة تكاد أن تكون علماً على الصوفية لما اشتهرت به من البدع العملية ومع أن كل الفرق قد ابتدعت في الدين ما لم يأذن به الله .

الشرعية والحقيقة

مصطلح يردده المتصوفة كثيراً ، ويقرونون بينه وبين مصطلح آخر لهم هو الظاهر والباطن ، وسنحاول من خلال هذا المبحث التعرف على معاني هذه المصطلحات وعلاقتها ببعضها ببعض .

فالشريعة - كما يرونها - هي مجموعة الأحكام العملية التكليفية أي ما يسمى (بالفقه الإسلامي) ، والحقيقة هي ما وراء هذه الأحكام من إشارات وأسرار ، فالفقهاء يعلمون الناس أركان الصلاة وسننها والصوفية يهتمون بأعمال القلوب من المحبة والخشية .. هذا رأي المعتدلين منهم أما غلاتهم فقالوا : إن هذه الأحكام لعوام المسلمين نظراً لضيق عقولهم وقلوبهم عن استيعاب المعاني العلوية دون الالتزام برسوم وأشكال معينة فالصلاة خمس مرات بشكل وترتيب معين ... هو أشبه ما يكون بالمعلم الذي يلزم الطالب بواجبات مدرسية لما يعلم عنه من عدم الاستفادة من العلم إن لم يعمل بتلك الواجبات ، والمقصود هو العلم فإن كان من الخواص الذين يدركون المقصود الأساسي من الشرائع - وهو ما أطلقوا عليه الحقيقة - فقد حصل المقصود وإن لم يلتزم بها ، فالصلاة هي دوام الصلة مع الله فإن استدامت فالحاجة للصلاة تصبح مجرد الوقوف مع الأوامر الشرعية احتراماً لها وإن كانت غير ذي فائدة ، بل إنها انحرفت بعد ذلك عند البعض إلى القول بإسقاط التكليف لمن أدرك الحقيقة .

إن بداية الانحراف كانت في هذا الفصل بين الشريعة والحقيقة ، وعند أهل السنة الشريعة هي الحقيقة فالصلاة حركات معينة ولكنها تستلزم الخشية والإنابة ، وهكذا كل الأحكام الشرعية القيام بها يعني الإتيان بها على تمامها كما أرادها الله سبحانه وتعالى

وقد جرهم ذلك إلى مصطلح آخر وهو الظاهر والباطن . فقد ادعى الصوفية أن للقرآن ظاهراً وباطناً ، فالظاهر هو ما يؤخذ من ألفاظه حسب الفهم العربي أو السياق أو غير ذلك من الأصول المرعية في التفسير وهو ما يهتم به علماء الظاهر أو ما يطلقونه عليهم (علماء الرسوم) زراية بهم، أما الباطن فهو العلم الخفي وراء تلك الألفاظ وهو المراد الحقيقي بها وهذا لا يطلع عليه الخواص من أصحاب المقامات السامية ويطلقون عليه (الإشارات) ، وهم يغمزون أهل الفقه بأنهم لا يهتمون بأعمال القلوب .

... ويسأل أحدهم عن قيمة الزكاة فيجيب : أما على العوام فربع العشر وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع؟! " وإذا وقع خلاف في مسألة بين علماء الشرع وبقيت غامضة ، فالقول فيها ما يقوله علماء

الباطن أهل التصوف " . وفي تفسير قوله تعالى : " ولكن لا تفقهون تسييحهم " . قال الغزالي : " وهذا الفن مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في عمله " .

والحقيقة أن هذه التفرقة غير صحيحة بل هي باطلة وقبيحة ، وأي تجزئة للإسلام فهي من قبيل اتخاذ القرآن عضين ، والإسلام كل متكامل كالجسم الواحد ، فليس هناك ظاهر وباطن ولكن هناك فهم صحيح كما عقله الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نعم هناك أعمال للجوارح وأعمال للقلوب والإيمان يزيد حتى يصبح كالجبال وينقص حتى يكون كالنبتة الصغيرة الضعيفة ، ولكن كل هذا اسمه شريعة أو إسلام أو دين وكل تقسيم يشعر بأن هناك تضاداً أو تغييراً كمن يفرق بين العقل والنقل وكأن النقل مضاد للعقل ، أو بين العلم والدين وكأن العلم يخالف الدين ، كل هذا لا يكون إلا من ضعف وانحسار أمام أعداء هذا الدين ، هذا إن أحسنا الظن بهم .

* * *

الحقيقة المحمدية

شعبة من شعب الغلو الذي وقعت فيه الصوفية بل من شعب الكفر ، وهو مزيج من الغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم والتأثر بالفلسفة اليونانية في تقريرها لأول مخلوق ، والتأثر بالنصرانية التي أضفت صفات الربوبية على المسيح عليه السلام .

والمشكلة أن هذه التي يسمونها (الحقيقة المحمدية) هي غموض كامل وعماء في عماء ، ولأنها نشأت في الأصل من خيال مريض وأوهام ليس لها أي رصيد في الواقع ، ولذلك نلاحظ أن أقوالهم في تعريفها أو الكلام عنها غامضة أيضاً ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أول موجود وأول مخلوق وهو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره ، وهو الذي منه انشقت الأسرار ولا شيء إلا وهو به منوط ، وهو عين الإيمان والسبب في وجود كل إنسان . وكأن الصوفية لم يستسيغوا أن يقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو كما وصفه القرآن الكريم بشراً رسولاً وقد جعلوا أقطابهم تتصف بما وصف الله سبحانه وتعالى نفسه ، فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدعوا ما أسموه (الحقيقة المحمدية) وعلى أساس هذه النظرية ندرك مغزى ما يقول البوصيري :

وكل آي أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم

وقول ابن نباته المصري :

لولا ما كان أرض ولا أفق ولا زمان ولا خلق ولا جبل

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشى على أمته من الغلو فقال صلى الله عليه وسلم محذراً :
" لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، إنما أنا عبد الله ورسوله " . ولكن الذي فعله هؤلاء
هو أكبر من الغلو ، إنه الشرك والضلال ، وإلا كيف تفسر قول الشيخ الدباغ " إن مجمع نوره لو
وضع على العرش لذاب " وقول أبي العباس المرسي : " جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا هو عين
الرحمة " قال تعالى : " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " . فانظر إلى هذا الاستنتاج العجيب .

ومن المؤسف أن المستشرق (نيكلسون) يتكلم في كتابه كلاماً صحيحاً عن شخصية الرسول صلى
الله عليه وسلم بينما غلاة الصوفية تاهوا في معمياتهم وسراديبيهم ، يقول : " إذا بحثنا في شخصية محمد
صلى الله عليه وسلم في ضوء ما ورد في القرآن ، وجدنا الفرق شاسعاً بينهما وبين الصورة التي صور بها
الصوفية أوليائهم ، ذلك أن الولي الصوفي أو الإمام المعصوم عند الشيعة ، قد وُصفا بجميع الصفات
الإلهية ، بينما وصف الرسول في القرآن الكريم بأنه بشر " .

وحدة الأديان

خرافة كبيرة من خرافات الصوفية ، وشطحة من شطحاتهم الكثيرة ، وهي لا تخرج إلا من خيال
مريض يظن أنه يتسامح إنسانياً ، ولكنها في نفس الوقت فكرة خطيرة لأنها تصادم سنن الله في الكون
والحياة ومنها سنة الصراع بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، والجمع بين الكل على قدر المساواة هو
خبث مركز لهدم الإسلام أو هذيان مقلد لا يدري ما يقول ، وإلا فكيف نسوي بين من يعبد الله
سبحانه وتعالى وحده وبين من يعبد البقر ، أو حرف كتب الله وعبد أنبيائه ، كيف نجمع بين الإيمان
والكفر هذا لا يكون إلا ممن يؤمن بوحدة الوجود كابن عربي وتلامذته الذين يعتقدون أن كل موجود
على الأرض صحيح ولا داعي للتفرقة ، والله أوسع من أن يحصره عقيدة معينة فالكل مصيب " وأما
عذاب أهل النار فهو مشتق من العذوبة " !!؟ .

ويترجم ابن عربي هذه العقيدة شعراً فيقول :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف
وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أتى توجهت
ركائبه فالحب ديني وإيماني

ونحن وإن كنا لا ننتهم كل الصوفية بهذه البدعة لأن القول بها ضلال وكفر وانحراف ولا يقول به إلا غلاتهم ، إلا أن أجواء الصوفية ربما تساعد على نشوء مثل هذه الأفكار أو قريباً منها ، فالاستغراق في توحيد الربوبية وأن الله رب كل شيء ومليكه ، وفي القضاء والقدر الكوني الذي يسري على المؤمن والكافر ، دون الالتفات إلى جانب الأمر والنهي الشرعيين والمخاطب بهما المؤمنين والذي هو جانب توحيد الألوهية ، والاستغراق في كلمات ذوقية مثل الحب الإلهي والعشق الإلهي ، كل هذا أدى إلى قول أبي يزيد البسطامي عندما اجتاز بمقبرة اليهود : " معذورون " ومر بمقبرة المسلمين فقال " مغرورون " ثم يخاطب الله سبحانه وتعالى : " ما هؤلاء حتى تعذبهم حطام جرت عليهم القضايا ، اعف عنهم " وكأنه يريد أن يثبت رحمته للجنس البشري كله ، وكأنه أرحم من الله سبحانه بعباده .

إن هذه العقيدة شبيهة بأفكار الماسونية التي تدعو إلى وحدة الإنسانية وترك الاختلاف بسبب الأديان فليترك كل واحد دينه وعقيدته وإنما تجمعنا الإنسانية ، دعوة خبيثة ملمسها ناعم ولكنها تحمل السم الزعاف في أحشائها .

الأولياء والكرامات

من أكثر الأشياء التي يدندن حولها الصوفية قديماً وحديثاً موضوع الأولياء والكرامات التي تحصل لهم ، وقبل أن نتكلم عن مدى مطابقة ما يذهبون إليه للكتاب والسنة ، قبل هذا لا بد من تعريف الولي وكيف تطورت هذه اللفظة لتصبح مصطلحاً خاصاً علماً على فئة معينة ثم نتكلم عن الكرامات وما هو مقبول منها وما هو مردود .

جاء في كتاب (قَطْر الولي على حديث الولي) : الولي في اللغة : القريب والولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والتقريب ، والمراد بأولياء الله خالص المؤمنين ، وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء قوله : " الذين آمنوا وكانوا يتقون " أي يؤمنون بما يجب الإيمان به ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من المعاصي ، قال ابن تيمية : الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات أي متابعتها لها ، وهذا المعنى الذي يدور بين الحب والقرب والنصرة هو الذي أراده القرآن الكريم من كلمة ولي مشتقاتها في كل موضع أتى بها فيه ، سواء في جانب أولياء الله أو في جانب أعداء الله . ومن ثم فليس لنا أن نخرج هذا المصطلح عن المعنى الذي حدده القرآن بلسان عربي مبين . يقول ابن حجر العسقلاني : " المراد بولي الله : العالم بالله تعالى ، المواظب على طاعته . " ، هكذا كان استعمالها وظلت النظرة إليها بهذا المعنى إلى أن دخلت أوساط الشيعة ثم في دائرة الصوفية فأطلقوها على أئمتهم ومشايخهم مراعين فيه اعتبارات أخرى ، غير هذه الاعتبار الإسلامية فأصبحت محصورة في طائفة خاصة بعد أن كانت صفة محتملة لأي إنسان يقوم بنصرة دين الله من عباده المسلمين ، وأول من صرف هذا المعنى إلى معنى خاص هم الشيعة فأطلقوها على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه على اعتبار أنه هو وذريته (بشراً نورانيين من طينة مكنونة تحت العرش) ثم أضاف لها الشيعة والصوفية (العلم اللدني لأن الشيعة يعتقدون أن علي ابن أبي طالب أخذ علماً خاصاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

والقشيري من الصوفية يرى : " بأن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء العصمة من المعاصي والمخالفات " وهذه قلدوا فيها الشيعة الذين يعتقدون العصمة لأئمتهم ، وأكبر مقامات الولي عند الصوفية هو (الفناء) وهو باب الولاية ومقامها أما عند ابن عربي فهي مراتب ومنها مرتبة الولاية الخاصة وهو الورثة لأنهم أخذوا علمهم عن الله مباشرة !!؟ ، وهم عند ابن عربي أفضل من الأنبياء نظراً لما هم عليه من ذوق أدركوا به علم الوجود ووقفوا على سر القدر .

هذا هو التحديد التعسفي لمفهوم الولاية عند الصوفية ، أما شخصية الولي في القرآن الكريم فهي شخصية إيجابية يت رسم خطى الدين في كل ما أمر أو نهي ، والصحابة ومن تبع أثرهم من العلماء العاملين هم أولي الناس بهذا اللفظ ويصدق عليهم حديث : " من عادى لي ولياً " وطريق الوصول إلى الولاية عند الصوفية طريق معكوس لأن الغاية من مجاهداتهم هي معرف الله أو الفناء و

والمفروض أن معرفة الله سبحانه هي خطوة أولى للإيمان وهذه المعرفة فطرية كما يحدثنا القرآن ، والعمل الصالح هو الذي يوصل إلى أن يحب الله عبده ، وأما فناؤهم فهو يوصلهم إلى كفر الإتحاد والحلول فطريق الولاية عند أهل السنة سهل ميسر ومن أول هذا الطريق تبدأ المحبة بين الله سبحانه وعبده بينما طريق الصوفية طريق شكلي آلي ، لا بد أن يمر المرید بكذا وكذا ثم يصل إلى شطحات يظن فيها أنه شاهد الحق . وأفضل الأولياء عند أهل السنة الأنبياء والرسل بينما عند الصوفية النبي يقصر عن الفلاسفة المتأهلين في البحث والحكمة كما يقول السهروردي المقتول على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله ، فالولي عند أهل السنة هو ذاك المسلم الإيجابي الذي يقوم بالطاعات ، والولي عند الصوفية هو المستغرق في الفناء .

بعد هذا البيان والإيضاح لكلمة الولي وكيف تطورت ، والمعنى السني لها ، لا بد من توضيح المقصود بـ (الكرامات) وما هو رأي أهل السنة فيها وهل التزم الصوفي بهذا الرأي ؟ وهل هناك ارتباط بين الولاية والكرامة فنقول :

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون وسيره على سنن محكمة مطردة لا تتعارض ولا تتخلف ، وربط المسببات بأسبابها والنتائج بمقدماتها وأودع في الأشياء خواصها ، فالنار للإحراق ، والماء للإرواء والطعام للجائع ، ثم هذا النظام الكوني البديع المتناسق الشمس والقمر والنجوم ، وتعاقب الليل والنهار .. كل بنظام محكم ، فإذا لم ترتبط الأسباب بنتائجها وخرقت هذه العادة المألوفة بإذن الله لمصلحة دينية أو دعاء رجل صالح ، فهذا الخرق إذا كان لنبي فهو معجزة ، وإذا كان لأناس صالحين فهو كرامة وهذه الكرامة إن حصلت لولي حقاً فهي الحقيقة تدخل في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وتحصل ببركة إتياعه .

وهذه الخوارق إما أن تكون من جهة العلم بأن يسمع النبي ما لا يسمع غيره أو يرى ما لا يراه غيره يقظة ومناماً أو يعلم ما لا يعلم غيره حياً وإلهاماً أو فراسة صادقة لعبد صالح ، وإما أن تكون من باب القدرة والتأثير مثل دعوة مستجابة أو تكثير الطعام وعدم إحراق النار ، وقد حصل للصحابة رضوان الله عليهم كرامات من هذا النوع وكانت إما لحاجة أو حجة في الدين ، كما أكرم الله سبحانه أم أيمن عندما هاجرت وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش وكانت صائمة ، فلما كان وقت الفطر

سمعت حساً على رأسها فإذا دلو معلق فشربت منه ، وكان البراء بن مالك إذا أقسم على الله أبر قسمه ، وكان سعد بن أبي وقاص مستجاب الدعوة ، مشى أمير الجيوش الإسلامية في البحرين العلاء بن الحضرمي وجنوده فوق الماء لما أعترضهم البحر ولم يكن معهم سفن تحملهم وألقي أبو مسلم الخولاني في النار فلم تحرقه .

هذه حوادث صحيحة وقعت للصحابة رضوان الله عليهم ، وأكثر منها وقع في عصر ما بعد التابعين . فأهل السنة لا ينكرون الكرامات كما ينكرها المبتدعة ، وهو يعلمون أن الله الذي وضع الأسباب ومسبباتها قادر على خرق هذه السنن لعبد من عباده ، ولكن الصوفية جعلوا مجرد وقوعها دليلاً على فضل صاحبها حتى ولو وقعت من فاجر قالوا هذه كرامة لشيخ الطريقة ولذلك لا بد من ملاحظات وتحفظات حول هذا الموضوع .

أولاً: هذه الخوارق كانت تقع للصحابة دون تكلف منهم أو تطلب لها أو رياضات روحية يستجلبون بها هذه الخوارق ، بل تقع إكراماً من الله لهم أو دعاء يرون فيه مصلحة دينية إما لحجة أو حاجة للمسلمين كما كانت معجزات نبيهم صلى الله عليه وسلم ، أما المتأخرون فيطلبونها ويتكلفون لها الرياضات الروحية وربما أفسد جسمه ونفسيته بسبب هذا مع أن " طلب الكرامات ليس عليه دليل ، بل الدليل خلاف ذلك فإنما غيب عن الإنسان ولا هو من التكليف لا يطالب به " وهذا من التأثير بالفلاسفة حيث يقررون رياضات معينة للوصول إلى هذه الخوارق .

ثانياً : إن كرامات أولياء الله لا بد أن يكون سببها الإيمان والتقوى والولي لله هو المحافظ على الفرائض والسنن والنوافل ، عالماً بأمر الله عاملاً بما يعلم فمن صفت عقيدته وضح عمله كان ولياً لله يستحق إكرام الله له إن شاء ، فهذا إذا خرقت له العادة لا تضر ولا يغير بذلك ولا تصيبه رعونه ، وقد لا تحصل لمن هو أفضل منه فليست هي بجد ذاتها دليلاً على الأفضلية ، فالصديق رضي الله عنه لم يحتج إليها ، وحصلت لغيره من الصحابة ، كما أنه ليس كل من خرقت له العادة يكون ولياً لله كما أنه ليس كل من حصل له نعمٌ دنيوية تعد كرامة له ، بل قد تحرق العادة لمن يكون تاركاً للفرائض مباشراً للفواحش فهذه لا تعدوا أن تكون إما مساعدة من شياطين الجن ليضلوا الناس عن سبيل الله ، أو استدراج من الله ومكر

به أو رياضة مثل الرياضات التي يمارسها الهنود والبوذيون الكفرة ثم يضربون أنفسهم بآلات حادة ولا تؤثر فيهم أو يتركون الطعام أياماً عديدة إلى غير ذلك ويظن الفسقة أن هذه كرامة لهم .

ثالثاً : هناك سؤال مهم في هذا الصدد وهو لماذا كانت هذه الحوادث من خرق العادات قليلة في زمن الصحابة والتابعين ثم كثرت بعدئذ ؟

يجيب ابن تيمية : " أنها بحسب حاجة الرجل فإذا احتاج إليها ضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه فيها ما يقوي إيمانه ويكون من هو أكمل ولاية منه مستغنياً عن ذلك لعلو درجته ، كما أن عدم وجودها لا يضر المسلم ولا ينقص ذلك في مرتبته والصحابة مع علو مرتبتهم جاءتهم هذه الخوارق إكراماً لهم أو لحاجة في الدين ، وكثرتها في المتأخرين دليل على ما قاله ابن تيمية أو لتطلبهم إياها بالرياضة الروحية .

رابعاً : إن معجزة هذا الدين الكبرى هو القرآن الكريم الذي أنزله الله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وعندما طلب منه صلى الله عليه وسلم معجزات مادية رفض ذلك لأن هذا ليس هو منهج هذا الدين وقد ذكر القرآن الكريم هذا الطلب ، قال تعالى : " وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، أو تكون لك جنة من نخيل فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، أو تأتي بالله والملائكة قبلاً أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً " .

وتبقى الحقيقة أن الاستقامة على طريق الهدى ، طريق السنة والإتباع ، طريق الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، هذه الاستقامة هي عين الكرامة ، فإن حصل بعدئذ خرق العادة إكراماً من الله سبحانه وتعالى لمؤمن صادق فهذه يجب أن يخفيها ولا يذيعها ويشكر الله سبحانه على ما منّ به عليه .

الأقطاب و الأوتاد

بعد أن حرف كلمة ولي عن معناها الذي أراده القرآن الكريم اخترعوا ما يسمونه بالأقطاب والأوتاد والأبدال . تسميات ما أنزل الله بها من سلطان ، يرتبون بها أوليائهم ترتيباً فيه مضاهاة للنصارى الذين يرتبون رجال الدين عندهم بدأ بالشماس وانتهاء بالبابا كما أنه فيه تشبه بالشيعة في ترتيب الأئمة، وقد رتبوا أوليائهم حسب أهميتهم على الشكل التالي :

١-القطب: أو الغوث هو أعلى مرتبة يصل إليها الصوفي وهو من ملك الطلسم الذي يشرح الكون وهناك قطبا في كل زمان وعد ابن عربي خمسة وعشرون قطبا من آدم وحتى النبي. ومن خصائص القطب أنه اكتشف الذات الإلهية وله علم بصفات الله ولا حدود لعلمه وهو أكمل المسلمين ولا حدود لمرتبه ويمكنه الانتقال حيث شاء. ومن وظائفه التصرف والتأثير في الكون ووقاية المرید.

٢-أوتاد: وعددهم أربعة مهمتهم حفظ الأرض من كل سوء أو شر ولكل واحد مقام جهة من جهات الأرض. لهم روحانية إلهية ويملكون علوا كثيرة. أحدهم يكون على قلب آدم والثاني على قلب إبراهيم والثالث على قلب عيسى والرابع على قلب محمد.

٣-أبدال: وعددهم سبعة مهمتهم حفظ الأقاليم السبعة ولكل منهم اقليم واحد. وسموا الأبدال لأن لهم قدرة تبديل أنفسهم بشبيهه بينما يتنقلون في أماكن أخرى كالأشباح.

٤-نجباء: وعددهم أربعون وهم أقل درجة من الأبدال مهمتهم حمل أثقال البشرية ولا يتقدمون في المراتب.

٥-نقباء: وهم أول درجات الترقى الصوفية بعد إتمام الطريقة والشعائر الصوفية. ويكون عددهم ثلاثمئة وهم من استخرجوا خفايا الضمير وانكشف الستر لهم

إن المسلم ليمتلكه العجب عندما يقرأ أو يسمع ما يقوله هؤلاء الذين يدعون العلم والمعرفة ، إن هذه أمور خطيرة تمس جوهر العقيدة الإسلامية ، إن الاعتقاد بأن أحداً غير الله سبحانه يتصرف في هذه الكون هو شرك أكبر ، وأما مصادمة كلامهم للعقل من البديهيات الأولية و لأن الخرافة لا يمكن أن

يصدق بما عقل . أوتاد وأقطاب يتحكمون في العالم وهؤلاء سبعة وأولئك أربعة من أين جاءوا بهذا التحديد وهذا العدد ؟ ومن أين جاءوا بهذا القطب الذي جعلوه نائباً لله ؟ كأن الله سبحانه ملك من الملوك يحتاج إلى نواب سبحانه هذا بهتان عظيم وإفك مبین ، وهذا الكلام وكلامهم عن الحقيقة المحمدية ووحدة الأديان لا نستطيع أن نصنفه بأنه هلوسة وتخبطات مصروع لا غير ، لأننا نكون عندئذ غافلين عن حقيقة هذه المذاهب ، وإنما هي غنوصية لهدم الإسلام .

الشطح واللامعقول

يروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : " لو أن رجلاً تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحرق " ، وسواء صحت هذه الرواية عن الشافعي أم لم تصح فإن الاتجاه العام لدى الصوفية هو الابتعاد عن العقل والعقلانية ، وذلك لأنهم يرون أنه لا يمكن الوصول إلى الأحوال والمقامات العالية إلا بإلغاء العقل ، ولذلك يذكرون حوادث لمشايجهم ويقررون أموراً يابها العقل بل يكذبها ، ومن المعلوم أن مناط التكليف في الإسلام هو العقل ولكن الصوفية كل شيء عندهم ممكن ، وكل شيء يصدق مهما كانت غرابته .

هذه صور من اللا معقول عند الصوفية منتزعة من كتاب (الطبقات الكبرى) للشعراني

١- ذكر في ترجمة الشيخ أحمد الرفاعي أنه : " إذا تجلى الحق تعالى عليه بالتعظيم يذوب حتى يكون بقعة ماء ، ثم يتداركه اللطف فيصير يجمد شيئاً فشيئاً حتى يعود إلى جسمه المعتاد ويقول : لولا لطف الله ربي ما رجعت إليكم " .

٢- الشيخ أبو عمرو بن مرزوق القرشي : " كان الرجل العربي إذا اشتهى أن يتكلم بالأعجمية أو العجمي يريد أن يتكلم العربية يتفل الشيخ في فمه فيصير يعرف تلك اللغة كأنها لغته الأصلية " .

٣- قال أحدهم : " حضرت سمعاً فيه الشيخ رسلان فكان يثب في الهواء ويدور دورات ثم ينزل إلى الأرض يسيراً يسيراً ، فلما استقر سند ظهره إلى شجرة تين قد يبست فأورقت واخضرت وأينعت وحملت التين في تلك السنة

إن قمة إلغاء العقل عند الصوفية هو ما يسمونه (بالشطح) وهي أن يتكلم أحد مشاهيرهم بكلمات غير معقولة أو تتضمن كفراً وزندقة في الظاهر ويقولون : إنه قالها في حالة جذب وسكر أما في حالة الصحو فيتراجع عنها وقيل في تعريف (الشطح) : " كلمة عليها رائحة الرعونة والدعوى تصدر عن أهل المعرفة باضطراب وإضراب " .

وهذه نماذج من شطحاتهم : قال أبو يزيد البسطامي " إن جهنم إذا رأني تحمد فأكون رحمة للخلق ، وما النار والله لئن رأيتها لأطفأها بطرف مرقعتي " .

والدسوقي يعلن أن أبواب الجنة بيديه ومن زاره أسكنه جنة الفردوس وأبو الحسن الشاذلي يعوم في عشرة أبحر : خمسة من الآدميين : محمد وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وخمسة من الروحانيين : جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح وأحمد بن سليمان الزاهد شفعه الله في جميع أهل عصره .

شطحاتهم لا تنتهي ونكتفي بما أوردنا كنموذج للرعونة والدعوى وأقوالهم هذه مرفوضة جملة وتفصيلاً ولا تستحق بذل الجهد لتبريرها فقاعدة الإسلام الركينة أننا نحكم بالظاهر كما دلت جملة الأحكام الشرعية، فلا مجال لمدع أن يقول بأن باطن أقوالهم مخالف لظاهرها ، ويجب أن يصاب الإسلام عن مثل هذا الشطح واللامعقول ، بل الشرك لأن ممن يتصرف في الجنة والنار فقد اتخذ نفسه نداً لله وشركاً و قال ابن عقيل " ومن قال هذا كائناً من كان فهو زنديق يجب قتله " .

البدع العمليّة للصُوفية

تربية ذليلة

وضع الصوفية قواعد عامة لتربية مرديهم وكلها تحوم حول الخضوع التام من المرید للشيخ ، بحيث يتحول التلميذ المسكين إلى آلة جوفاء تردد ما يقال لها بلا تفكير ولا شخصية مستقلة ، بل انقياد أعمى ، وحتى تتم هذه التربية الذليلة ألزموهم بلبس معين ومشية معينة وشيخ معين وطريقة معينة . ومن هذه القواعد المتعارفة بينهم :

- كن بين يدي الشيخ كالميت بين يدي المغسل .

- لا تعترض فتنترد .

- من قال لشيخه لم ؟ لا يفلح .

- من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان .

ومشت الجماهير المغفلة وراء الشيوخ يقبلون الأيدي وينحنون لهم بالتعظيم كلما رأوهم ، لا يتكلمون إلا إذا تكلم الشيخ ، يصدقون بكل ما يقول ، ويحملون له حذاءه وسجاده . وقد فلسفوا كل هذا في كتبهم تحت عنوان (آداب المرید) فقالوا : " ومن الأدب تعظيمه ظاهراً وباطناً ، ولا تصاحب له عدواً ولا تعادي له صديقاً ، ولا تكتم عنه شيئاً مما خطر ببالك ، ولا تسافر ولا تتزوج إلا بإذنه ، وأعظم من هذا قالوا : وحرّم على المریدین السؤال لأن الشيخ قد يكون جاهلاً فينفضح .

وانتقلت عدوى هذه الطريقة في التربية إلى الآباء فربوا أبناءهم على الطاعة العمياء وأجبروهم على عادات معينة فيخرج الطفل شخصية ضعيفة .

ولنا على هذه التربية الملاحظات التالية :

١- هذه الأساليب في تربية المریدین هي أساليب مآكرة إما لتغطية ما على الشيخ من جهل بالدين وقلة بضاعة في العلم ، أو لممارسة أشد أنواع السيطرة على عقول وقلوب الناس وباسم احترام الشيخ . وقولهم (العلم في الصدور لا في السطور) إنما هو صرف للتلاميذ عن كتب الفقه والحديث لأنه إذا قرأ فرمما يتفتح عقله - فينتبه لما عند الشيخ من دجل وخرافات .

٢- لم يترب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه التربية الخائفة ولكنهم تربوا تربية القيادة والرجولة ، فكان أحدهم يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوْحِيْ هَذَا أَمْ هُوَ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةُ؟ فَإِنْ كَانَ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةُ أَدْلَى بِرَأْيِهِ كَمَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ عِنْدَمَا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَصَالِحَةَ قِبَائِلِ غُطْفَانَ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِيَادَتِهِ الْحَكِيمَةَ يَسْتَمَعُ لَهُمْ وَيُنَاقِشُهُمْ وَجْهَ الرَّأْيِ وَلَا يَقُولُ لَهُمْ : كَيْفَ تَعْتَرِضُونَ عَلَيَّ وَأَنَا سَيِّدُ الْخَلْقِ وَرَسُولُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؟ وَمَعَ حُبِّهِمُ الشَّدِيدِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا لَا يَقُومُونَ لَهُ وَلَا يَقْبَلُونَ يَدَيْهِ كَلَمَا دَخَلَ وَذَلِكَ لِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّهُ يَكْرَهُ الْمُبَالِغَةَ فِي تَعْظِيمِ الْبَشَرِ ، وَعَقَلَ الصَّحَابَةُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ التَّرْبِيَّةَ فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَمَا تَوَلَّى الْخِلَافَةَ " وَإِنْ أَسَأَتْ فِقُومُونِي " . وَعَقَلَ التَّابِعُونَ هَذِهِ التَّرْبِيَّةَ فَكَانُوا يَكْرَهُونَ " أَنْ تَوَطَّأَ أَعْقَابَهُمْ " وَهُوَ أَنْ يَمْشِيَ التَّلَامِيذُ وَرَاءَ الشَّيْخِ ، وَيَقُولُونَ : " إِنَّهَا فِتْنَةٌ لِلتَّابِعِ وَالْمَتَّبِعِ " ، وَلَمْ يَعْتَدِ الصَّحَابَةُ تَقْبِيلَ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِذَا وَقَعَ فَيَكُونُ نَادِرًا ، وَذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى كِرَاهِيَّةِ تَقْبِيلِ الْيَدِ مَطْلَقًا كَالْإِمَامِ مَالِكٍ ، قَالَ سَلِيمَانُ بْنُ حَرْبٍ : هِيَ السَّجْدَةُ الصَّغْرَى . وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : " قَلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَحْنِي بَعْضُنَا لِبَعْضٍ ؟ قَالَ : لَا " .

٣- أما لماذا تسير هذه الألوف من الغافلين وراء شيوخ الصوفية ربما يكون هروباً من الواقع ، ولعلها تصادف متنفساً غير حقيقي لمشاكلهم وأرجح أنه ابتعاد عن التكليف الذي يفرضه الإسلام وخاصة في أوقات الشدة والعسرة ، وبعض الناس يصدقون أغرب القصص لمجرد رغبتهم في أن تكون هذه القصص صحيحة والواقع أنها غير صحيحة .

المتصوفة وعلم الحديث

من أصعب الأمور على المتصوفة وخاصة المتأخرين منهم الاهتمام بالعلوم الشرعية وخاصة الحديث والفقه ، لأن هذه العلوم تكشف ما هم عليه من جهل وإذا دخلت في قلوب وعقول التلاميذ فلا يبقى حولهم أحد ، أما المتقدمون فكان لهم عناية بالعلوم الشرعية ولكن إما أن يكون أحدهم مفصوم

الشخصية فتجده عالماً في الفقه وأصوله ولكن عندما يتكلم في التصوف ينقلب إلى شخصية أخرى كأبي حامد الغزالي ، وإما أن يترك العلم بعد أن يكون قد أخذ بقسط وافر منه ، باعتبار أن العلم وسيلة للعمل فإذا وصل إلى العمل فلا داعي للعلم ، وهذه مغالطة لأن المسلم يحتاج للعلم حتى آخر لحظة من حياته ، وقد رمى أحمد بن أبي الخواريزمى كتبه في البحر وقال : نَعَمَ الدليل كنت .

ومن الأوهام التي وقعوا فيها قولهم : نحن نأخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت وأهل الحديث يأخذون علمهم ميتاً عن ميت وأنشد أحد شيوخه :

إذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

وبسبب إعراضهم عن الحديث جمعوا الغث والسمين والموضوع والضعيف في كتبهم مثل (الإحياء) و (الرسالة) و (حقائق التفسير) وهذه بعض الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة الباطلة وكيف استندوا إليها وقرروا بها مذهبهم :

١- قال بعض العارفين : أول المعرفة حيرة وآخرها حيرة وذكرها حديثاً باطلاً : " زدني فيك تحيراً " قال ابن تيمية : هذا حديث كذب والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " ربي زدني علماً " .

٢- ذكر محمد بن طاهر المقدسي في مسألة (السماع) حديث الأعرابي الذي أنشد النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآيات :

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقى إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقى وأنه صلى الله عليه وسلم توجد عندما سمع ذلك حتى سقطت البردة عن منكبيه ، قال ابن تيمية : " هذا حديث مكذوب موضوع " ولا ندري كيف يروون هذا وأين عقولهم ؟ ولعلّ الحيات لسعت عقولهم وليس قلوبهم .

٣- روي حديثاً " لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه " وهو من كلام أهل الشرك والبهتان وقد سمعنا بعض مشايخ الصوفية في هذا العصر يحدث به ويعتقده .

٤ - " ألبسوا الصوف ، وشمروا ، وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا ملكوت السماء " ذكرها أبو طالب المكي في (قوت القلوب) ، وهل يتكلم الرسول صلى الله عليه وسلم بمثل هذا الكلام ، وهل هذا إلا اختراع لتأييد مذهب التصوف بلبس الصوف .

هذه نماذج قليلة وغيض من فيض مما امتلأت به كتبهم كالرسالة للقشيري حيث ذكر فيها الصحيح والضعيف والموضوع وحيث يروي عن الفضل بن عيس الرقاشي وهي من أوهمي الأحاديث وأسقطها ، وارجع إلى (الإحياء) لترى العجب العجاب ، مما يدلنا على عدم احتفائهم بعلم الحديث أو الفقه ، بل ضربهم بالعلم كافة عرض الحائط .

السَّمَاعُ وَالدِّكْرُ

في البداية ، وعند أوائل الصوفية كانوا يحضرون مجلس (السماع) وهو الاجتماع في مكان معين لسماع منشد صاحب صوت حسن مع استعمال الإيقاع الموسيقي ، ينشد قصائد الزهد وترقيق القلوب ، ثم تطوروا إلى إنشاد قصائد الغزل وذكر (ليلي) و (سعدى) ويقولون نحن نقصد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذه القصائد التي تهيج الحب المطلق ، الحب غير المعين ، فكلُّ يأخذه حسب هواه وما يعتلج في قلبه من حب الأوطان أو حب النساء ...

ولم يقتصر الأمر على هذه القصائد بل تطور إلى ذكر الله بالرقص والدف والغناء ، وعندما تقام الحضرة تبدأ التراتيل بذكر اسم الله المفرد (الله) بصوت واحد ، ولكن عندما يشتد الرقص ويلعب الشيطان برؤوسهم يرفعون عقيرتهم أكثر ويتحول اسم الله إلى (هو) ثم لا تسمع بعدها إلا همهمة ، وقد يجتمع مع هذا الصراخ والقفز في الهواء أخلاط الناس من النساء والأولاد لرؤية هذا (التراث الشعبي) ، حقاً إنها مهزلة اتبعوا فيها سنن الذين من قبلنا فقد جاء في مزامير العهد القديم عند اليهود " ليهتج بنو صهيون بملكهم ، ليسبحوا اسمه برقص ، بدف وعود ، سبحوه برباب ، سبحوه بصنوج الهتاف " .

جاء في (ترتيب المدارك) للقاضي عياض : " قال التنيسي : كنا عند مالك بن أنس وأصحابه حوله فقال رجل من أهل نصيبين : عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيراً ثم يأخذون في القصائد ، ثم يقومون فيرقصون . فقال مالك : أصبيان هم ؟ فقال : لا . قال : أجمانين هم ؟ قال : لا هم مشايخ وعقلاء . قال : ما سمعت أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا " .

وقد يكون من أسباب فعلتهم هذه هو أن النفس ترى أن تغطي شهواتها باسم الدين والذكر والحضرة . ولو كشفت بصراحة عن نوازعها لكان الخطب أهون ، لأنها عندئذ تبقى في دائرة المعصية وهي أقل خطراً من البدعة . والله سبحانه وتعالى وصف الذاكرين له باطمئنان قلوبهم وخشوعهم وإخباتهم ، وقد كان السلف إذا سمعوا القرآن خافوا وبكوا واقتشعرت جلودهم ، وهذا عكس الرقص والطرب ، ولم يأمر الله سبحانه حين أمر الناس بالعبادة - أن يأكلوا أكل البهائم ثم يقوموا للرقص ، بل هذا الرقص الذي يسمونه (ذكراً) وما يرافقه من منكرات مستقبح ديناً وعقلاً ، هو وصمة عار أن يكون في المسلمين من يفعل هذا .

المتصوفة والجهاد

تربى المسلمون الأوائل تربية جهادية ، فهم مستعدون دائماً لمصاولة الباطل والدفاع عن الحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ينفذون في ذلك سنن الله سبحانه وتعالى ، فالشر لا بد من دفعه بالخير و إلا فسدت الأرض ، وكان علماء السلف يرابطون في الثغور للحصول على فضيلة الجهاد ، مثل الإمام أحمد بن حنبل والإمام عبد الله بن المبارك ، وقصة ما كتبه ابن المبارك للفضيل بن عياض يعاتبه فيها على تفرغه للعبادة في مكة وعدم مشاركته في حماية الحدود الإسلامية هي قصة مشهورة ، فما هو موقف الصوفية من هذا الموضوع المهم ؟ حتى يتبين لنا هذا لا بد من الوقوف على بعض أقوالهم وأفعالهم :

١- ألف أبو حامد الغزالي كتابه (إحياء علوم الدين) في فترة تغلب الصليبيين على بلاد الشام ، وتذكر المؤلف كل شيء من أعمال القلوب ولم يتذكر أن يكتب فصلاً عن الجهاد .

٢- يستشهدون دائماً بحديث ليس له أصل ويظنون أنه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على عادتهم في ذكر الأحاديث الضعيفة وهو : " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر " ويعنون بالجهاد الأصغر القتال في سبيل الله والجهاد الأكبر هو جهاد النفس ، وهذا الكلام ليس من هدي النبوة ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من هذا ، كما أن فيه مغالطة واضحة وأي جهاد أعظم من تقديم المسلم نفسه في سبيل الله ، وقولهم هذا ما هو إلا محاولة للهروب من تبعية القتال في سبيل الله ، بل هو صرف المسلمين عن هذا العمل العظيم .

ولذلك يقول ابن تيمية عنهم : " وأما الجهاد فالغالب عليهم أنهم أبعد من غيرهم ، حتى نجد في عوام المؤمنين من الحب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحب والتعظيم لأمر الله والغضب والغيرة لمحارم الله ما لا يوجد فيهم . حتى أن كثيراً منهم يعدون ذلك (أي الجهاد) نقصاً في طريق الله وعباداً " وربما يظنون أن الذكر والتفكير والفناء والبقاء هو الأصل والأهم .

بعد هذا الاستعراض لبعض أقوالهم وأفعالهم نستطيع أن نقرر أن التربية الصوفية بطبيعتها بعيدة عن فكرة الجهاد والقتال لأنها تعتبر الرياضات الروحية هي الأصل والأساس ، وهذه الرياضات لا تنتهي إلا إذا وصل أحدهم لمرحلة الفناء ، وإذا فني فكيف يجاهد !!؟

ونحن نتكلم عن الصفة الغالبة عليهم ، و إلا فقد يوجد منهم من له مشاركة في دفع الظالمين ، ولكن الأكثرية هم مع المطاع المتغلب ولهذا قيل : " إن كل شعر التصوف ظهر في زمان ضعف المسلمين السياسي " .

مصادر التلقي عند الصوفية

خالف متأخرو الصوفية سبيل أهل السنة والجماعة المتبع للكتاب والسنة فأرجعوا طرق التلقي والمعرفة إلى ستة أمور:

١-الكشف

ومعناه عندهم (هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمر الحقيقية وجودا وشهودا) .
وعرفه الهروي فقال: (المكاشفة مهادة الشر بين متباطين)

وشرحه ابن القيم بقوله: (إطلاع أحد المتحابين المتصافين صاحبه على باطن أمره وسره) .

وقال ابن تيمية (هو ما يلقي في النفس عند تجريدتها من العوارض الشهوانية وإقبالها بالقلوب على المطلوب) .

وعلى هذا فهو حالة تعتري القلب حال خلوة من حظوظ النفس ومشتهيات الطبع الإنساني من أحوال تقوي بصيرة القلب بحيث يبصر من الأمور والأحوال الغائبة عن الحس والعقل ما لا يبصره غيره ولا يعرفه من العلوم والأحوال .

ومن الأمر المعلوم بضرورة العقل والشرع أن ما يحصل في القلب من أمور لغير النبي والرسول الموحى إليه لا تخلو من حالين:

الحال الأول: أن يدل الدليل الشرعي على صحة الأمور التي تعلم عن طريق الفراسة الإيمانية كما قال صلى الله عليه وسلم (اتقوا فراسة المؤمن فإن المؤمن ينظر بنور الله) رواه الترمذي عن أنس بن مالك وهو حديث حسن .

أو عن طريق الكرامة الربانية كاطلاع عمر رضي الله عنه على حال سارية في المعركة مع الروم وكعلم أبي بكر ما في بطن امرأته لكن هذه الأشياء لا تستمر بل يحدث خلافها إذا ما خالطت الغفلة قلب العبد كما قال سبحانه: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

الحالة الثانية: أن لا يدل الدليل الشرعي على صحتها وفي هذه الحالة يجب عرضها على الشرع لأن الخواطر التي تحصل للإنسان قد تكون وساوس شيطانية كما قال سبحانه: (مَنْ شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) عندما أمرنا أن نتعوذ به من وسوسة الشيطان .

هذا والمتصوفة ترى أن الكشف حالة مستمرة بشيوخهم وأن أولئك الشيوخ دون سائر المؤمنين قد اختصوا بها وظنوا أن الكشف لا يكون إلا من الله خاصة وأنه لا يكون بعضه من الشيطان ولم يفرقوا بين الكشف الرحماني والكشف الشيطاني مما فتح الباب أمام الشيطان ليتلاعب بهم وبعقولهم، مع أن هذا النوع من الكشف المدعى كما يكون للمؤمن يكون لسواه من الفساق والكفار والمشركين من الكهان والمنجمين والرمالين، الذي كان سببا في انتشار أنواع من الخرافات والشعوذات في محيط الصوفية والتصوف .

وقد ذكر ابن تيمية عدة وجوه تدل على بطلان هذا النوع من الكشف وعدم إمكان الاعتماد عليه في تحصيل المطالب الشرعية ومنها:

أولا: أن الرسل لم تأت به وإنما جاءت بالرد للكتاب والسنة وقال تعالى: (فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) .

ثانيا: أن مجرد ترك الشهوات لا يكفي في تحصيل الحال الإيماني بل لا بد أن تنضم إليه أنواع من العبادات الظاهرة والباطنة حتى تكتمل بصيرته .

ثالثا: أن الاعتماد في تحصيل المطالب الإلهية عليه غير مأمون لما تقدم من إمكان أن يكون الحاصل في القلب من وساوس الشيطان .

رابعا: أن الكشف لا يوصل إلا إلى معرفة إجمالية أما التفصيلية فهذا ما لا يمكنه أن يوصل إليه وإذا ظهر لنا عدم إمكان الاعتماد على الكشف كطريق للمعرفة الصحيحة المدلول عليها بالكتاب والسنة وأن خطأ الكشف يعرف بمخالفة الكتاب والسنة أو مخالفة العقل الصحيح المهتدي بهما أو مخالفته للحس الظاهر والباطن ،علمنا بأن أكثر ما يدعيه هؤلاء الصوفية من المكاشفات ما هي إلا أحوال شيطانية أو تخيلات وهمية تحصل لبعض الناس إذا غاب عن وعيه وحسه بسبب قوة الواردات وضعف النفس مما

يفقد صوابه فيرى ويشاهد بخياله ما لو كان في حال اعتداله وحسه لم يره ولم يشاهده الأمر الذي أدى ببعضهم إلى الحلول والاتحاد لاعتقاده أن ما شاهده هو ربه أو من حدثه هو كذلك .

ويدخل تحت الكشف الصوفي أمران: هما:

الأول: الكشف من النبي صلى الله عليه وسلم، ويقصدون به أخذ الأحكام الشرعية عنه صلى الله عليه وسلم يَقْظَةً أو منامًا، ومعلوم أن هذا من الضلال البعيد -عيادًا بالله تعالى.

ثانيًا: الكشف من الخضر -عليه السلام- حيث تكثر حكايات الصوفية عن لقيائه والأخذ عنه أحكامًا شرعية وعلوًا دينية إضافة إلى أنهم يدعون أنه يُعَلِّمهم الأوراد والأذكار والمناقب، وكل هذا من تلبس الشيطان الرجيم على أولئك المتدعة الضالّل.

٢- الذوق

وهو كما في التعريفات (عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره) .

وقال ابن القيم : (الذوق مباشرة الحاسة الظاهرة والباطنة للملائم والمنافر ولا يختص بحاسة الفم في لغة القرآن بل ولا في لغة العرب قال تعالى: (وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) وقال: (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) وقال تعالى: (هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ) وقال: (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) .

وقد جاء الذوق في السنة النبوية مقصودا به ما يحصل في القلب من لذة إيمانية وحلاوة يقينية في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا) .

قال ابن القيم تعليقا على هذا الحديث: (فأخبر أن للإيمان طعما وأن القلب يذوقه كما يذوق الفم الطعام والشراب) وقد عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بالطعام والشراب كما في حديث إني أظلم يطعمني ربي ويسقيني ، قال ابن القيم : (وقد غلظ حجاب من ظن أن هذا الطعام والشراب حس من الفم) وذكره بلفظ الحلاوة فقال صلى الله عليه وسلم: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان قال ابن القيم : (وهذا الذوق هو الذي استدل به هرقل على صحة النبوة حيث قال لأبي سفيان : (هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه فقال: لا قال كذلك الإيمان إذا خالطت حلاوته بشاشة القلب فاستدل بما يحصل لأتباعه من ذوق الإيمان الذي خالطته بشاشة القلب لم يسخطه ذلك القلب أبدا على أنه دعوة نبوة ورسالة ملك ورياسة وبذا يثبت أن للقلب ذوقا يجده كذوق الفم للطعام والشراب وهذا اللفظ والمعنى ثابت بدلالة الكتاب والسنة .

• موقف الشرع من الذوق :

الذوق شرعا ينقسم إلى قسمين:

الأول: ذوق شرعي فهو ما دل عليه الدليل من الكتاب والسنة فإن الذوق لا يستقل بالدلالة على شيء

الثاني: ذوق غير شرعي : وهو ما دل الدليل الشرعي من الكتاب والسنة على بطلانه أو لم يدل الدليل على بطلانه أو صحته ، لأنه والحالة هذه لا يعرف هل هو وسواس شيطاني أو ذوق إيماني ولأن لكل إنسان ذوقا ، فالوجودي يدعي أن ذوقه يدل على اعتقاده وهكذا الأمر بالنسبة لليهودي والنصراني .

ثم بما عرف مدعي الذوق أن ذوقه ذلك صحيح حتى يعتمد عليه ويترك دلالة الكتاب والسنة؟ ووجود الذوق ليس دليل صحته بل لا يدل على أنه نافع فقد يكون ذوقا ضارا بصاحبه .

هذا ونصوص القرآن والسنة تدل على وجوب اتباع الكتاب والسنة لا غير مما يدل على رد ما سواهما . كقوله تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) وقوله تعالى: (فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) وقوله صلى الله عليه وسلم: تركت فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي . وقوله صلى الله عليه وسلم: إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتمكم عن شيء فاجتنبوه . وقوله صلى الله عليه وسلم: أوتيت القرآن ومثله معه أي السنة النبوية والأدلة في هذا كثيرة ولا حصر لها فتحصل بما أن الذوق لا بد وأن يعرض على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

فإن وافقهما أقر وإن خالفهما رد، لأن الله ورسوله لم يجعل الأذواق هي الحكم بل الحكم هو ما أنزله جل شأنه على رسوله كما قال سبحانه: (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) وقال: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) وقال لمن حكم بغير ما أنزل: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) وقال: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) وقال: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ولأن تحكيم الذوق يفضي لأن يحكم كل مبطل على إثبات باطله بذوقه وهو كثير في أهل الباطل والإلحاد.

٣- الوجد

قال الجرجاني في التعريفات هو (ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع وقيل هو بروق تلمع ثم تحمد سريعاً) .

وقال ابن القيم : (وهو ثمرة أعمال القلوب من الحب في الله والبغض فيه) وقد ورد لفظ الفعل منه في القرآن الكريم فقال سبحانه: وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ وَهُوَ هُنَا بِمَعْنَاهِ اللَّغْوِيِّ وَقَدْ اسْتَشْهَدَ صَاحِبُ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ عَلَى الْوَجْدِ بِقَوْلِهِ سَبْحَانَهُ فِي أَصْحَابِ الْكَهْفِ: وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (الكهف ١٤) قال ابن القيم : (هذا من أحسن الاستدلال والاستشهاد فإن هؤلاء كانوا بين قومهم الكفار في خدمة ملكهم الكافر فما هو إلا أن وجدوا حقيقة الإيمان والتوفيق وذاقوا حلاوته وباشر قلوبهم فقاموا من بين قومهم وقالوا ربنا رب السماوات والأرض) وقال ابن القيم في موضع آخر في تعريف الوجد عند القوم: (هو ما يصادف القلب وما يرد عليه من واردات المحبة والشوق والإجلال والتعظيم وتوابع ذلك) .

وقد ورد الوجد في السنة فقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار .

• أنواع الوجد :

للوجد ثلاثة أنواع:

أولاً: وجد يستفيق بسببه البصر فيرى من آيات الله المشهودة الدالة على خالقها وموجدها ويستفيق السمع ويثبت عليه من الآيات ما تدل على آيات الله الكونية مما تتفتح بسببه آفاق الفكر والإدراك وعظمة الخالق وما يجب له من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات . ويدل عليه قوله سبحانه: أَقَلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ وقوله سبحانه: أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى .

ويسميه ابن القيم ب وجد السمع والبصر والفكر .

ثانياً: وجد الروح وهو وجد تستنير به الروح فيعقب لها كما لا وحلاوة وسرورا فتجده يجب ما يجب الله ويكره ما يكره الله فهو يسمع بالله ويبصر به

ثالثاً: وجد العبودية فيشهد فيه العبد معبوده ويستغني بشهوده هذا عن كوني الدنيا والآخرة فتموت في نفسه حظوظ النفس ولا يبقى له غرض في شيء إلا عبادة الله فيفني عمره في ذلك

• موقف الشرع من الوجد

لا يختلف الأمر في الوجد عن الذوق فهو منقسم إلى قسمين:

١ - وجد إيماني وهو ما دل عليه الشرع وهو وجد صحيح .

٢ - وجد شيطاني: وهو ما لم يدل عليه دليل من الشرع هو وجد باطل .

فالمرجع في صحته وفساده إلى دلالة الشرع لأنه كالذوق لا يدري ما يوجد في القلب هل هو حق أو باطل لأن فرضهما في الوجود متساويا فلا بد من مرجح وهو الشرع .

كما أن الوجد قد يبلغ ببعض الناس إلى درجة يغيب فيها عن شعوره وفي هذه الحالة هو لا يدري من يخاطبه فيظن أن ذلك ملك أو أنه ربه والأمر ليس كذلك لأن من فقد التمييز والعقل لم يكن له حكم صحيح على الأشياء فكيف يمكن الاعتماد عليه كما قال صلى الله عليه وسلم: رفع القلم عن ثلاثة

وذكر منها . . والنائم حتى يستيقظ وهذا الواجد في حالة غيبوبته بوجوده هو كالنائم من جهة أنه لا عبرة بما يقوله أو يتكلم به حال نومه أو يراه حال نومه أضيف إلى ذلك ضعف العلم والمعرفة فإنه عندئذ لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فتلمي عليه الشياطين ما تشاء وهو لا يعلم أن ذلك المخاطب له ما هو إلا شيطان أو فاسق من الجن فيقع عندئذ السهو والخطأ .

٤ - الإلهام

ويراد به عند الصوفية مرتبة التحديث .

وهو ما ورد بلفظه في الكتاب والسنة قال تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) .
وقال صلى الله عليه وسلم لحصين بن منذر الخزاعي لما أسلم قل: "اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي"

وعرف ابن القيم الإلهام بأنه وحي لغير الأنبياء ويكون للمكلفين كما في قوله سبحانه: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ) ويكون لغير المكلفين كما في قوله سبحانه: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) .

وهو على نوعين:

أحدهما: خطاب يسمعه بأذنه وهو وارد بالنسبة لعموم المؤمنين .

الثاني: خطاب يخاطب به الملك الروح فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم (إن للملك لمة بقلب ابن آدم وللشيطان لمة، فلمة الملك إيعاد بالخير والتصديق بالوعد ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالوعد) ثم قرأ (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا) وهذا هو واعظ القلب في قلب المؤمن .

وعلى هذا فإن المخاطب لا يعلم هل خطابه في هذه الحال خطاب ملك أو خطاب شيطان، و يطلق ابن القيم على هذين الخطاب الرحماني والخطاب الشيطاني .

وعلى ذلك فلا يمكن التمييز بينهما إلا بعرضهما على الشرع فما وافقه علم أنه رحماني وما خالفه علم أنه شيطاني .

٥- الفراسة

الفراسة في اللغة بالكسر مصدر فرست بالعين أفرس من باب ضرب ومنه تفرست فيه الخبر تعرفته بالظن الصائب ومنه حديث: اتقوا فراسة المؤمن .

وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على معناها كقوله تعالى: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَكِّبِينَ** قال مجاهد رحمه الله المتفرسين وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (للناظرين) وقال قتادة رحمه الله للمعتبرين وقال مقاتل: للمتفكرين ولم يرد لفظها فيه .

وأما في السنة فقد وردت بلفظها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ولا تعارض بين أقوال المفسرين في الآية المتقدمة لأن الناظر متى نظر وتفكر في حالهم وانتقل إلى الصور المشابهة لهم في الحال وصل إلى الحكم عليهم بنفس الحكم فهي أقوال متلازمة غير متنافرة .

• أنواع الفراسة

يرى ابن القيم أن الفراسة على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الفراسة الإيمانية وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده يثبت على القلب، وسمي بهذا الاسم تشبيها له بوثوب الأسد على فريسته وسبب هذا النوع: نور يقذفه الله في قلب العبد يكون من نتائجه أن يفرق بين الحق والباطل والصادق والكاذب وغيرها، وهي بحسب الإيمان قوة وضعفا فكلما قوي الإيمان قويت وكلما ضعف ضعفت فمن كان أقوى إيمانا كان أقوى فراسة .

النوع الثاني: الفراسة الرياضية، وهي تكون بالمران والتكرار وتحمل المشاق من الجوع والسهر والتخلي وسببها أن النفس إذا تجردت مما يثقلها صار لها كشف بحسب ذلك التجرد وهذا النوع لا يختص بأهل الإيمان بل هو حاصل للمؤمن والكافر فهي مشتركة بين الناس وقوتها تبعاً لسببها .

ولا دلالة فيها على إيمان ولا ولاية ولا استفاد منها الكشف عن الحق ولا عن طريق مستقيم فهي تحصل للولاة والأطباء وأرباب الحرف بحسب معرفتهم بوظائفهم وتمكنهم منها .

النوع الثالث: الفراسة الخلقية وهي الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن لما بينهما من ارتباط اقتضته حكمة الله كأن يستدل بزرقة العينين على الدهاء والخبث وبسعة الصدر على سعة الخلق والحلم ونحو ذلك وهي أيضا كسابقتها لا يستدل بها على إيمان ولا كفر ولا ولاية ولا عداوة .

هذا وقد غلا الصوفية في الفراسة حتى جعلوها مصدرا من المصادر الأساسية للمعرفة حتى حكموها في أمور الديانة مع أن صاحب الفراسة إن كانت إيمانية لا يعرف صدقها إلا بوقوعها وجزمه بمجرد الوردات يحتاج إلى عرضه على الشرع ليحكم عليه بالنفي أو الإثبات والحق أو الباطل وغاية الأمر إن لم يدل الدليل على أنه باطل أو حق أن تكون الفراسة من المرجحات ، ولذا لم يعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بفراسة في مال أو عرض أو نفس أو نسب أو عقل بل بالبينات والشهود وغاية الفراسة أن تكون أمانة ظنية لا تصل إلى مقام الدليل من حيث دلالاته على إثبات الحكم فلا تصلح للاستقلال بالحكم في أمر شرعي أو قدرتي بل لا بد من عرض ما دلت عليه على نصوص الكتاب والسنة وما دل عليه معقولهما .

وبذا يتبين لنا أنه لا يجوز الاعتماد في إثبات الحكم الشرعي أو القدري على مجرد الفراسة وحدها بل لا بد من اجتماع أمارات كثيرة تقرب إلى اليقين أو أدلة شرعية تدل على المنفي أو المثبت .

وأما في الأمور الدنيوية التي لا تعارض كتابا ولا سنة ولا تستلزم نقل الأموال وإثبات الحدود والتعزيرات فلا بأس من الاستفادة من الفراسة في مجال الترجيح بين المتعارضات .

٦- الرؤى والأحلام

تعريفها: الرؤى جمع رؤيا: وهي ما يراه الشخص في منامه ، قال الراغب : والرؤية بالهاء إدراك المرء بحاسة البصر وتطلق على ما يدرك بالتخيل نحو: أرى أن زيدا مسافر ، وعلى التفكير الفطري نحو إني أرى ما لا ترون ، وعلى الرأي وهو اعتقاد أحد النقيضين على غلبة الظن .

وقد وردت الرؤيا في القرآن الكريم كما في قوله سبحانه:

(وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) وقال جل جلاله: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ)

وكما ورد في القرآن فقد ورد ذكرها في السنة فقال صلى الله عليه وسلم: (الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة).

تعريف الرؤيا اصطلاحا: .

قال القاضي أبو بكر بن العربي: (الرؤيا إدراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يدي ملك أو شيطان إما بأسمائها أي حقيقتها وإما بكنائها أي بعباراتها وإما تخليط ونظيرها في اليقظة الخواطر فإنها قد تأتي على نسق في قصة وقد تأتي مسترسلة غير محصلة) .

• أنواع الرؤيا

١ - رؤيا رحمانية وهي الرؤيا التي من الله وهي من أسباب هداية العبد إلى الحق ومنها رؤيا الأنبياء وهي وحي معصوم من الشيطان .

٢ - رؤيا نفسانية وهي أضغاث الأحلام .

٣ - رؤيا شيطانية وهي التي تكون من الشيطان .

والرؤيا هي مبدأ الوحي وقد كان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ، وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثا وصدقها عند اقتراب الزمان لا يكاد يخطئ وذلك لبعث الناس عن عصر النبوة وآثار النبوة فيعوض الله المؤمن بالرؤيا الصالحة . وأما في زمان النبوة فلم تكن الحاجة إليها ملحة لاستغناء الناس بنور النبوة عن أي شيء آخر ولذا فهي من نظير الكرامات التي تخرج على أيدي الصالحين من عباد الله فهي في عصر الصحابة أقل من سواه لاستغنائهم بقوة الإيمان واحتياج غيرهم لضعفه عندهم قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: (رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في المنام) وقال صلى الله عليه وسلم: (لم يبق من النبوة إلا المبشرات قيل وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له) رواه البخاري . لذا فإنه إذا تواطأت رؤى المسلمين فإنها لا

تكذب قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه لما رأوا ليلة القدر في العشر الأواخر قال: (أرى رؤياكم قد تواتت في العشر الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في العشر الأواخر من رمضان) .

والذي يظهر أن الحجة في الحديث في إقراره صلى الله عليه وسلم لأن ذلك يدل على صحة ما رآه وأما مجرد الرؤيا وإن تكاثرت فلا يدل على صحتها مجرد التواطؤ بل لا بد من دليل شرعي يدل على مدلولها وما تقتضيه، فكم ضلل الشيطان الناس بمجرد رؤى تتكاثر بين الناس وتكرر أو أن يكون المراد في الحديث الإجماع بحيث لا يبقى أحد إلا رآها وهي الحالة هذه لا تكاد تكذب .

• موقف الصوفية من الرؤيا

لقد غلا الصوفية كثيرا في الرؤيا فجعلوها مصدرا للتلقي حتى أنك لترى أكثر الطرق الصوفية تنشأ نتيجة لرؤيا رآها شيخ الطريقة يدعي أن الرسول صلى الله عليه وسلم خصه بشيء من الدعوات والصلوات أو نحو ذلك وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يخص أحدا بشيء هو من دين الله قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) وقد أشهد الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في يوم عرفة في السنة العاشرة من الهجرة على البلاغ فقال: "اللهم فاشهد" فلم يبق من الدين شيء يحتاجه الناس إلا بينه . وفي ذلك من رمي الرسول بالكتمان ما لا يتناسب ومقام النبوة والرسالة وما تتصف به الأنبياء من الأمانة والصدق والتبليغ، وقد أجمعت الأمة على عدم اعتماد أي فتوى شرعية من الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أفتى بها من رآه مناما وبه يعلم مدى ما وصل إليه التصوف من الضلالة وشرعية ما به تفويض أركان الملة المحمدية، بل إن من الصوفية من يدعي رؤيته يقظة وهو ممتنع عند جماهير أهل العلم من الصوفية وغيرهم .

الطرق الصوفية وأهم مخالفتها

اتفاق الطرق الصوفية

التصوف في القرن الثامن الهجري وما بعده يعتبر مذهباً واحداً، وإن كان الاختلاف بينهم في التصريح بعقائد الحلول والاتحاد والوحدة، أو عدمه، وقد تقدم بيان تأثير كبار مؤلفي الصوفية بعضهم ببعض، ونقل بعضهم عن الآخر، فقد نقل أبو طالب عن الحارث المحاسبي، والغزالي عن أبي طالب، ولا غرابة أن من بعدهم نقل عنهم، فمشرب القوم واحد، فأبو طالب والغزالي وابن عربي وغيرهم قالوا بنظريات الحلاج على تفاوت بينهم، غير أن أبا طالب والغزالي كنيا، وابن عربي زاد وصرح، ولذلك تابعت الصوفية ابن عربي بعد القرن الثامن الهجري ولا خلاف بينهم وما بعده يعتبر تفرعاً وشرحاً لكتبه واتباعه، ودفاعاً عنه^(١).

ومؤلفوا التصوف كأبي طالب المكي ألف كتابه قوت القلوب للصوفية عموماً، واعتبرهم جماعة واحدة، كما فعل ذلك أيضاً السراج في اللمع، والسلمي في كتبه، والقشيري في الرسالة، بل نص الهجويري على أن الصوفية مذهب واحد، وأن الاختلاف بينهم في الجزئيات فقط، وهو أول من ذكر الطرق الصوفية فقال في باب الفرق بين فرقهم ومذاهبهم ومقاماتهم وحكاياتهم: «ومهما كانوا مختلفين في المعاملات والمجاهدات والمشاهدات والرياضات، فإنهم موافقون ومتفقون في أصول وفروع الشرع والتوحيد»^(٢)، وقبله قال الجنيد عن الصوفية: «هم أهل بيت واحد لا يدخل فيهم غيرهم»^(٣)، وقد ذهب إلى هذا بعض

(١) انظر: الموسوعة الميسرة إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي بإشراف ومراجعة د. مانع الجهني ج١/٢٦٣-٢٦٤.

(٢) كشف المحجوب ج٢/٤٠٣.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٢٨١.

الصوفية المتأخرين^(٤)، وبعض الباحثين من غيرهم^(٥)، بينما ذهب بعضهم إلى أن هناك آراء وأصولاً يتفقون عليها، وإن كان بينهم اختلاف^(٦)، في الرسوم العملية فقط كالزبي والأوراد وحاصل هذه الأقوال إثبات اتفاقهم .

ولاشك أن بين الصوفية في القرنين الثالث والرابع الهجريين خلافاً كبيراً؛ أعني بين الجنيد وسهل التستري ومن وافقهما من جهة، وذي النون المصري ومن وافقه من جهة أخرى؛ والذي في مذهبه القول بشيء من الحلول، أو ميل إليه واعتذار عن القائلين به، ثم تطور التصوف واتجه نحو آراء ذي النون ومن وافقه، حتى أصبح في القرن الثامن وما بعده شرحاً لكتب ابن عربي واتباعه ودفاعاً عنهم^(٧)، وأما الجنيد وسهل فلم يبق من اتباعهم أحد .

فمن ذهب إلى أن التصوف مذهب واحد بالنظر لما بعد القرن الثامن فهذا صحيح، وأما بالنسبة للقرنين الثالث والرابع فليس كذلك، لكن هذا الخلاف إنما هو في ربط العقائد الكلامية بالتصوف، والحلول ووحدة الوجود وما شابه ذلك، فقد رد على هذه العقائد الجنيد وسهل وغيرهما، أما الفقر والخلو والجوع والسهر وغيرها من الممارسات العملية فهم متفقون فيها أيضاً، أما الأوراد المبتدعة، والزي الخاص لكل طريقة، وإقامة الأضرحة على شيوخ، وسدانة القبور، فهذه الأمور لم تعرف إلا في القرون المتأخرة جداً، فلم تظهر وتنتشر إلا في القرن الثامن أو التاسع وما بعده .

(٤) انظر: مقدمة التعرف لمذهب أهل التصوف د. عبد الحليم محمود ص ١٠-١١ ، ط/ مكتبة الثقافة الدينية - بورسعيد مصر، والطريقة النقشبندية د. محمد درنيقة ص ٦ ، ومقدمة تراث التستري الصوفي د. محمد كمال جعفر ص ٩، وغيرهم.

(٥) انظر: الكشف عن حقيقة التصوف ص ٩-١٥ ، والصوفية في نظر الإسلام لسميح عاطف ص ٣٣٩-٣٤٠ ، وهذه هي الصوفية تأليف عبد الرحمن الوكيل ص ١٧٥، ط/ الرابعة ١٩٨٤ م الناشر دار الكتب العلمية بيروت، وغيرهم.

(٦) انظر: تاريخ التصوف في الإسلام د. قاسم غني ص ١٠ ، ٨٣-٨٤ ، والطرق الصوفية في مصر ص ٦١-٦٢ ، والمدخل إلى التصوف د. التفتازاني ص ٨٦، وقواعد التصوف لابن زروق ص ٣٤، والتصوف في مصر إبان العصر العثماني د. الطويل ص ٨٠ .

(٧) انظر: الموسوعة الميسرة ج ١/ ٢٦٣-٢٦٤ ، ومصادر التلقي عند الصوفية تأليف هارون صديقي ص ٢٠-٢١ ، ط/ الأولى ١٤١٧ هـ الناشر دار الراجحة - الرياض.

ثامناً. أهم الطرق الصوفية :

الطرق الصوفية كثيرة جداً يصعب حصرها أو يستحيل^(٨)، لكن اذكر بعض الطرق الكبار، وغيرها يتفرع منها، والمراد الطرق التي نشأت بعد القرن السادس الهجري وما بعده، لأن الطرق التي نشأت في القرنين الثالث والرابع الهجريين قد انتهت، ولا يمكن أن تسمى طرقاً حسب التعريف الحالي للطرق، وإن كانت هي الأساس الذي قامت عليه الطرق الصوفية المتأخرة^(٩).

١ - الطريقة القادرية:

وهي المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفي سنة ٥٦١ هـ وهو المؤسس للطريقة القادرية فيقول: « يجب على المبتدئ في هذه الطريقة الاعتقاد الصحيح، الذي هو الأساس فيكون على عقيدة السلف الصالح »^(١٠)، وقد ذكر بعض البدع العملية، مثل الأوراد^(١١)، والسماع^(١٢)، والتوكل الصوفي^(١٣)، والفقر^(١٤)، وصلوات الأيام والليالي^(١٥) وغير ذلك، لكن الميزة العظمى للشيخ عبد القادر الجيلاني الاعتقاد الصحيح والرد على أهل البدع، وقد ذكر الأمور السابقة ظناً منه ثبوتها عن النبي ﷺ.

أما أتباع الطريقة القادرية، فقد ابتعدوا عن هذا المنهج ولم يتمسكوا في طريقتهم بالكتاب والسنة ولا بقول شيخهم، فذهبوا إلى ما ذهب إليه كثير من الصوفية من الربط بين العقائد الكلامية والتصوف^(١٦)، كما نسبوا للشيخ كثيراً من الكرامات والأقوال التي فيها غلو كبير، والتي تصل إلى الشرك في توحيد الربوبية وفي توحيد العبادة، ونسبوا له قصائد شركية

(٨) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية ص ٣٧٤ ، والموسوعة الصوفية ص ٣٦٤-٣٦٩ .

(٩) انظر: تاريخ التصوف في الإسلام ص ٦٤٩-٦٥٠ ، والطرق الصوفية في مصر ص ٦٠ .

(١٠) الغنية ج ٢/٥٦٣ .

(١١) انظر: الشيخ عبد القادر الجيلاني وأروؤه الاعتقادية والصوفية د. سعيد بن مسفر القحطاني ص ٦٤٤-٦٥٥ ، ط /

الأولى ١٤١٨ هـ ولم يذكر الناشر .

(١٢) انظر: الغنية ج ٢/٥٩٠-٥٩٣ .

(١٣) انظر: نفس المرجع ج ٢/٦٠٥ ، والشيخ عبد القادر ص ٦١٣-٦١٧ .

(١٤) انظر: نفس المرجع ج ٢/٥٧٨-٥٨١ .

(١٥) انظر: نفس المرجع ج ٢/٥٢٦-٥٣٣ .

(١٦) انظر: الفلسفة الصوفية د. عبد القادر محمود ص ٢٨٣ ، ونشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ص ١٦-١٨ ، والتصوف

بين الحق والخلق ص ١٥-١٦ .

فيها دعوى الربوبية^(١٧)، ونسبوا إليه القول بالحقيقة المحمدية^(١٨)، ونسبوا للشيخ الورد المسمى "صلوات الكبريت الأحمر" وهو في الصلاة على النبي ﷺ، و"الباز الأشهب" و"القصيد العينية" وقد تضمنت عبارات تدل على وحدة الوجود^(١٩)، وكذلك ورد الجلالة ودعاء الجلالة وتضمننا دعاء أسماء أعجمية يظهر أنها أسماء جن، والسؤال بحقها، وعبارات تدل على وحدة الوجود^(٢٠)، وصرح عبدالغني النابلسي من القادرية بوحدة الوجود وملاً بما كتبه^(٢١).

فهذه الأقوال المخالفة للكتاب والسنة قال بها القادرية ممن ينتسبون إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني، والقادرية لها فروع في اليمن والصومال ومصر والهند والمغرب والسودان الغربي منها: اليافعية، والنابلسية، والرومية، والعروسية^(٢٢).

٢. الطريقة الشاذلية:

تنسب لأبي الحسن علي بن عبد الله المغربي، الزاهد الضرير، الشاذلي^(٢٣)، أخرجه أهل تونس، وكتبوا إلى أهل مصر إنه يقدم عليكم مغربي زنديق، وقد أخرجناه من بلدنا فاحذروه، ونزل الإسكندرية وكثر اتباعه، مات سنة ٦٥٦هـ.

له عدة أحزاب منها: حزب البر وهو الشهير بالحزب الكبير ويقال له: الورد الكامل زعم فيه أن حزبه « ما كتب من حرف إلا بإذن من الله ورسوله »^(٢٤)، وله غيره^(٢٥).

^(١٧) انظر: القصيدة العينية الملحقة بفتوح الغيب للشيخ عبدالقادر جمع محمد سالم أيوب ص ١٦٦ - ١٧١، والقصيدة الغوثية (الخميرية) ص ١٩٥ - ١٩٨، ودمعة على التوحيد (مجموعة مقالات) دمعة على الإسلام للمنفلوطي ص ٢١١، والشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٥٧٨ - ٥٨٦.

^(١٨) انظر: القصيدة العينية الملحقة بفتوح الغيب ص ١٥٥، والشيخ عبد القادر ص ٣٠٠ - ٣٠٢، وانظر: الطرق الصوفية المعاصرة في المغرب الأقصى عرض ومناقشة تأليف/ عبد الله أعياش ج ١/ ٥٧ - ٦٠ رسالة ماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

^(١٩) انظر: الباز الأشهب ص ١٢٦، والقصيدة العينية ص ١٤٤، كلاهما ملحق بفتوح الغيب، والشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٦٥٢ - ٦٥٣ .

^(٢٠) انظر: انظر: ورد الجلالة ص ١٧٨، ودعاء الجلالة ص ١٧٩، ملحقان بكتاب الطرق الصوفية في مصر د. عامر.

^(٢١) انظر: رسالة التوحيد خمرة الحان ورنه الألمان شرح رسالة أرسلان ص ١٠٩، ١٣٢ - ١٣٧، ٣٦٦ - ٣٦٧ .

^(٢٢) انظر: الموسوعة الصوفية د. عبدالمنعم الحنفي ص ٢٦٩ .

^(٢٣) مصادر الترجمة: لطائف المنن لابن عطاء الإسكندري ت/ خالد العك ص ١٠٩، وتأريخ الإسلام للذهبي حوادث

٦٥١ - ٦٦٠هـ ص ٢٧٣ - ٢٧٤، وقد نسبه مريدوه إلى علي بن أبي طالب ﷺ كعادة الصوفية في نسبة شيوخهم

لا آل البيت حتى ولو لم يكن من العرب، قال الذهبي في تأريخ الإسلام حوادث ٦٥١ - ٦٦٠ ص ٢٧٣ عن نسبه:

« وهذا نسب مجهول لا يصح ولا يثبت، وكان الأولى به تركه »..

^(٢٤) النسخة العلية في أورد الشاذلية جمع عبد القادر زكي ص ٢، ط/ مكتبة المتنبّي - القاهرة.

ومن أشهر أعلام الشاذلية: أبو العباس أحمد بن عمر بن علي الأنصاري، المرسي توفي سنة ٦٨٦هـ^(٢٦)، وأحمد بن محمد بن عطاء الله الإسكندري الشاذلي، له عدة مؤلفات منها "الحكم" وغيرها، توفي سنة ٧٠٩هـ^(٢٧).

أهم آراء الشاذلية:

وقع الشاذلية في الشرك الأكبر فالشاذلي له قبر يعبدونه من دون الله تعالى، ولهم أدعية يتوسلون فيها بغير الله تعالى^(٢٨)، ومنها أسماء أعجمية قد تكون أسماء للجن^(٢٩)، ومنهم: عبد الوهاب الشعراي (ت ٧٠٧هـ)، ويوسف النبهاني (ت ١٣٥٠هـ)، اللذان صرحا بالشر ك الأكبر في كتبهما، وللشاذلي شعر ونثر فيه متشابهات وعبارات يتكلف له في الاعتذار عنها، كما قال الذهبي^(٣٠)، أما ابن عطاء الله فقد جاء في الحكم ما يثبت قوله بوحدة الوجود^(٣١)، وهذا ما أشار إليه شراحها^(٣٢)، كما قال ابن عطاء بالأنوار كثيرا، التي هي الفلسفة الإشراقية^(٣٣)، واعتقاد الشاذلية الظاهر على مذهب الأشعرية الكلائية^(٣٤)، ويدعون أن الأولياء

^(٢٥) انظر: الطريقة الشاذلية وأعلامها تأليف د. محمد درنيقة ص ٢١، ط/ الأولى ١٤١٠هـ الناشر المكتبة الجامعية - بيروت.

^(٢٦) انظر: ترجمته في لطائف المنن لابن عطاء الله الإسكندري ص ١٢٨-١٦٩، والطريقة الشاذلية وأعلامها د. محمد درنيقه ص ٨٢-٨٥، .

^(٢٧) انظر: ترجمته في الطريقة الشاذلية وأعلامها ص ٨٦-٩٢، وطبقات الشاذلية الكبرى ص ١١٦-١١٧ .

^(٢٨) انظر: النفحة العلية في أورد الشاذلية جمع عبد القادر زكي ص ٢، ٦، ١٠، ٢٦١، ط/ مكتبة المتنبى - القاهرة، لطائف المنن ص ٢٦٣.

^(٢٩) انظر: لطائف المنن ص ٢٥٧ .

^(٣٠) تاريخ الإسلام حوادث ٦٥١-٦٦٠ ص ٢٧٣-٢٧٤ .

^(٣١) المنهج الأتم في تبويب الحكم لابن عطاء الله تبويب المتقي الهندي عناية حسن السماحي ص ١٠٠، وانظر: ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ولطائف المنن ص ٢٥٩، ٢٧٢، و ص ٢٦١ وغيرها.

^(٣٢) انظر: على سبيل المثال: المواهب العلية ج ١/٩٥-١٠١، ج ٢/١٩-٢٣، وإيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص ٤٩-٦٨، و ص ٤٢٤-٤٢٥، وقد أنكر د. عبد القادر محمود في الفلسفة الصوفية في ص ٢٩١ نسبة القول بوحدة الوجود للشاذلية، وهو من المغالين في التصوف، لكنه في ص ٢٩٤ يعود فيعترف فيقول: « لا شك أن شاعرية ابن عطاء تعطى آراءه حرارة وجيشانا وعنفا يكاد يقربه من مدرسة ابن عربي، وإن لم يسقط في دائرتها المنفصلة»، ويقول في ص ٢٩٥: « ابن عطاء الذي تجرّفه شاعريته الصوفية إلى مسالك وعرة، نكاد نطل منها على مدرسة ابن عربي ».

^(٣٣) انظر: لطائف المنن ص ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٨١.

يعلمون الغيب^(٣٥)، كما زعم شيخهم أن حزبه الكبير كتب بإذن من الله ورسوله ﷺ، كما يدعون مثل كل الصوفية رؤية الله . تعالى . في الدنيا^(٣٦)، والحقيقة المحمدية والنور المحمدي، ويحثون على اللباس الحسن وترك المرفعات^(٣٧) .

هذه أهم آراء الشاذلية العقدية، التي ذكرها شيوخ الطريقة الكبار، وذهب بعض الباحثين إلى أن الطريقة الشاذلية هي أكثر الطرق الصوفية انتشاراً، وأكثرها أتباعاً^(٣٨)، وكثير من أعلام الصوفية المشهورين من المتأخرين ينسبون إلى الشاذلية^(٣٩)، من فروعها الحصافية، والفيضية، والسالمية وغيرها.

٣. الطريقة الرفاعية:

تنسب الرفاعية إلى أحمد بن علي الرفاعي المغربي، المتوفي سنة ٥٧٨ هـ بالعراق^(٤٠)،

^(٣٤) انظر: لطائف المنن ص ١٤٩، والطرق الصوفية في مصر د. عامر النجار ص ١٣٨ .

^(٣٥) انظر: تعظيم الأولياء في لطائف المنن ص ١٢٣، ١١٠، ١١٤، ١٢٩، ١٢٤، ١٢٥، ١٨٨، ٢١٩، وطبقات الشعرا ج ١٣/٢، وانظر الرد عليهم في مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤/٣٦٥، والاستغاثة في الرد على البكري ج ١/٣٠٦.

^(٣٦) لطائف المنن ص ١٢٩، وانظر: غيث المواهب العلية ج ١/٣٤ .

^(٣٧) انظر: نفس المرجع ص ٢١٥ .

^(٣٨) انظر: الصوفية في نظر الإسلام تأليف / سميح عاطف ص ٥٤٨-٥٤٩، والطريقة الشاذلية وأعلامها ص ٦٥، والفلاسفة الإسلاميون والصوفية د. عبد الفتاح فؤاد ص ٩٥ ط/ الأولى ١٤١٨ هـ الناشر دار الدعوة - الإسكندرية، والطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام د. حسين مؤنس ص ٢٢ ط/ الأولى ١٣٢٠ هـ الناشر مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد مصر، والموسوعة الصوفية ص ٢٣٢ .

^(٣٩) مثل: جلال الدين السيوطي ت (٩١١ هـ) وله "الحقيقة العلية وتشبيد الطريقة الشاذلية"، انظر: الطريقة الشاذلية وأعلامها ص ١٠٦-١٠٧، وعبد الوهاب الشعراي ت ٧٠٧ هـ. انظر: نفس المرجع ص ١٠٢٢، وعبد الرؤوف المناوي ت (١٠٢٢ هـ)، صاحب الطبقات، انظر: طبقات الشاذلية الكبرى ص ١٤٨، ويوسف النبهاني ت (١٣٥٠ هـ)، انظر: الطريقة الشاذلية ص ١٩٤، ود. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقاً ت (١٩٧٨ م)، انظر: نفس المرجع ص ١٠٥ وغيرهم كثير.

^(٤٠) انظر: تاريخ الإسلام حوادث ٥٧١-٥٨٠ هـ ص ٢٤٨-٢٥٥، والموسوعة الصوفية ص ١٧٨-١٨٠، ومقدمة البرهان المؤيد للرفاعي ت/ صلاح عزام ص ٥-١٧ وهي ترجمة الصيادي للرفاعي، ط/ دار الشعب - القاهرة، وقد نسبه أتباعه، لآل البيت كعادة الصوفية ولا يصح.

وتسمى البطائحية نسبة للبطائح^(٤١)، والأحمدية نسبة لاسم شيخهم الأول^(٤٢).
وقد انتشر الشرك الأكبر عند الرفاعية مثل غيرهم من الصوفية قال الصيادي الرفاعي

: « بيتان حج العارفون إليهما بيت الرسول وشبله ببطاح

أعني به المولى الرفاعي الذي خلقت أنامله من الأرباح »^(٤٣).

وللصيادي "بوارق الحقائق" كله استعانة واستغاثة وتوجه للقبور، وعقيدتهم الظاهرة يتابعون فيها الأشعرية المتأخرة، في تعريف التوحيد، ونفي العلو، وأن القرآن قديم وغير ذلك^(٤٤)، كما تتابع الصوفية المتأخرة في المشي مع القدر^(٤٥)، وفي الحقيقة المحمدية والنور المحمدي^(٤٦).

وذكر الرفاعي ما يشير إلى الحلول أو الوحدة^(٤٧)، ووافق متأخروهم أهل وحدة الوجود^(٤٨)، ودافعوا عنهم.

كما يوافق الرفاعية الصوفية في الخلوة^(٤٩)، والفقر^(٥٠)، وذم الفقهاء^(٥١)، وقد ورد عن الرفاعي أقوال في التزام السنة، وفضل العلم، والتزام حدود الشرع وغير ذلك^(٥٢)، لكن لم يأخذ

(٤١) البطائح جمع بطيحة بالفتح ثم الكسر، سميت بطائح لأن المياه تبطحت فيها أي سالت، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة. انظر: معجم البلدان ج١/٥٣٤ رقم ١٩٩٨ .

(٤٢) لكن ترك هذا الاسم واكتفى بالرفاعية تمييزاً لهم عن الطريقة الأحمدية المنتسبة لأحمد البدوي. انظر: هامش مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية تعليق دمشقية ص ١١ ، ط/ الأولى ١٤٠٨ هـ الناشر دار طيبة - الرياض.

(٤٣) قلادة الجواهر ص ٤٣٣ ، نقلاً عن الصوفية الغزو المدمر للحصين ص ١٩ ط/ الثالثة ١٤٢١ هـ الناشر دار عالم الكتب . الرياض .

(٤٤) انظر: البرهان المؤيد للرفاعي ت/ صلاح عزام ص ٢٠-٢١ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، والعقيدة الحقة لأحمد بن عبد الله الرفاعي (معاصر) ص ٩-١٥ ، وذكر أنه نقلها من المجالس الرفاعية، وأصلها في الإحياء، والموسوعة الصوفية ص ١٧٩ .

(٤٥) انظر: البرهان المؤيد ص ٣٨ .

(٤٦) انظر: البرهان ص ٩٨ ، والسير والمساعي في أورد وأحزاب السيد الكبير أحمد الرفاعي جمع/ السيد إبراهيم الراوي وضبط عبد الجليل ص ٤٩ ، ط/ الأولى ١٤١٣ هـ الناشر دار البشائر - دمشق.

(٤٧) انظر: البرهان ص ٩١ .

(٤٨) انظر: العقيدة الحقة لأحمد الرفاعي ص ١٧-١٩ في الدفاع عن ابن عربي.

(٤٩) انظر: السير والمساعي ص ٢٣٦-٢٤٣ ، والموسوعة الصوفية ص ١٨١ .

(٥٠) انظر: البرهان ص ٧٥ ، ٧٧ .

(٥١) انظر: البرهان ص ٨٢ مع أنه مدحهم في موضع آخر ص ٥٣ .

(٥٢) انظر: البرهان ص ٢٤ ، ٢٦ ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٩ ، وغيرها، ومقدمة مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية ص ٤ ، ٥

بها أتباعه.

وقد اشتهر عن الرفاعية أحوال ومخاريق مثل أكل الحيات وملامسة النار، وإظهار الدم^(٥٣)، وغير ذلك، ولم تعرف إلا بعد الغزو المغولي^(٥٤)، وكلها حيل بين شيخ الإسلام ابن تيمية بطلانها في مناظرته لهم^(٥٥).

ومن فروعها : البازية والملكية والحبيبية وغيرها^(٥٦)، والانتساب للرفاعية على وجهين انتساب بركة ، وانتساب إرادة ، والأخير فيه التزام وتدرج في الطريق الصوفي^(٥٧).

٤. الطريقة النقشبندية:

تنسب النقشبندية لمحمد بن بهاء الدين النقشبندي البخاري، المعروف بشاه نقشبند، هلك سنة ٧٩١هـ^(٥٨)، وتنسب لأبي يزيد البسطامي، ضمن آخرين^(٥٩)، وسلسلة الطريقة الذهبية تعود لأئمة الرفض^(٦٠)، فذا نجد لديهم ميلاً للرفض.

ويصرحون بالشرك الأكبر في توحيد الربوبية^(٦١) والألوهية^(٦٢)، وظاهر جلياً أن النقشبندية ممن يقولون بوحدة الوجود أو يميل إليها كثير منهم^(٦٣)، وقد كثرت شروحاتهم لكتب ابن عربي وغيره من القائلين بوحدة الوجود^(٦٤)، ولا يخفى أن النقشبندية ظهرت في القرن الثامن

^(٥٣) انظر: مناظرة ابن تيمية ص ١٢ ، وتأريخ الإسلام حوادث ٥٧١-٥٨٠هـ ص ٢٥٥ .

^(٥٤) انظر: دائرة المعارف البريطانية ج ١٠/١٤٨ ، والطرق الصوفية في مصر د. عامر النجار ص ٦٦-٧٦ .

^(٥٥) انظر: مناظرة ابن تيمية ص ١٢-١٣ .

^(٥٦) انظر: الصوفية الغزو المدمر ص ١٩ .

^(٥٧) انظر: الطرق الصوفية في مصر د. عامر النجار ص ٦٨-٦٩ .

^(٥٨) انظر: الطريقة النقشبندية وأعلامها د. محمد درنيقة ص ١٨-١٩ ، والموسوعة الصوفية ص ٢٩٣ .

^(٥٩) انظر: الطريقة النقشبندية ص ١٣-١٦ .

^(٦٠) انظر: الكواكب الدرية على الحدائق الدرية ص ٢٣-٢٤ .

^(٦١) انظر: زعم شيخهم القدرة على الإحياء والإماتة في نفس المرجع السابق ص ٤٢٣ .

^(٦٢) انظر: نفس الرجوع ص ٨١٢، ٣٩٥، ٤٠٤ .

^(٦٣) انظر: نفحات الأنس ١٩-٢٢ ، وحقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية ص ٥٧-٦٢ .

^(٦٤) مثل: شرح فصوص الحكم لمحمد بن بارسا النقشبندي. انظر: الطريقة النقشبندية ص ١٥٥، وكشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض، وجواهر النصوص في حل كلمات الفصوص، والطل الممدود في معنى وحدة الوجود، وإيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود كلها للنابلسي. انظر: نفس المرجع ص ٩٥-٩٧، وقد نسب

المهجري وما بعده والذي يعتبر تفرعاً وشرحاً لكتب ابن عربي وأتباعه، ودفاعاً عنهم.
وقد ذكر النقشبندية مثل غيرهم من الصوفية: أن الولي يقول للشيء كن
فيكون^(٦٥)، والحقيقة المحمدية^(٦٦)، ورؤية الله . تعالى . في اليقظة، وخطابه^(٦٧) . سبحانه
وتعالى عما يقولون .، والنقشبندية تنفق مع الطرق الصوفية الأخرى في الخلوة، والفقير،
وغير ذلك.

والنقشبندية لها فروع في الصين وتركيا ، وبعض بلدان آسيا الوسطى، والهند،
وجاوه، ومن فروعها : الصديقية ، وخوجكانية^(٦٨)

٥- الطريقة الختمية:

مؤسسها محمد عثمان بن محمد أبو بكر الميرغني المحجوب ويلقب « بالختم » أي
خاتم الأولياء، ومنه اشتق اسم الطريقة ، كما تسمى الطريقة الميرغنية ، ولد في مكة ،
ينتسب إلى الأشراف كعادة الصوفية ، وقد سلك عدة طرق وهي: القادرية، والجنيدية،
والنقشبندية، وطريقة جده الميرغنية، والشاذلية الإدريسية على يد شيخه أحمد الأدريس، ثم
أسس طريقته من هذه الطرق ، واعتبرها خاتمة الطرق.

ومن أعلامهم ابن المؤسس الحسن بن محمد عثمان ، أصبح شيخ الطريقة في السودان
بعد وفاة والده ، وفاقت مكانته مكانة والده، وأسس قرية الختمية في شرق السودان كمركز
للطائفة ، وتوالى عليها أحفاد هذه الأسرة وزعيمها اليوم محمد بن عثمان بن علي الميرغني
زعيم الحزب الإتحادي الديمقراطي في السودان الذي يضم بين صفوفه نصارى وعلمانيين
وغيرهم من المحاربين للإسلام وهو حزب معاد للإسلام ويرفض تحكيم الشريعة، وتنتشر
الطريقة في شمال السودان وشرقه، وجنوب مصر، والحجاز، وقد حظيت الختمية برعاية
الدولة العثمانية ، وازدهرت في ظل رعايتها لها، وعارض محمد عثمان سر الختم رئيس

للقادرية مع النقشبندية، وتعليقات على الفتوحات المكية للخطيب الحموي. انظر: نفس المرجع ص ٧٨ ،

ورسالة وحدة الوجود للقسطموني. انظر: نفس المرجع ص ٦٢ وغيرها.

^(٦٥) انظر: حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية ص ٨٢.

^(٦٦) انظر: نفس المرجع ص ٦٩ .

^(٦٧) انظر: نفس المرجع ص ١٣٧، ٩٥ .

^(٦٨) انظر: الموسوعة الصوفية ص ٣٩٣، ٢٧٠ - ٣٩٤.

الطائفة آنذاك دعوة مهدية - طريقة صوفية - وساند الدولة العثمانية، حتى هزم ففر إلى مصر، ثم صاحب الجيش الإنجليزي في حملة استعمار السودان^(٦٩).

أهم عقائدهم :

لا تختلف الختمية عن الطرق الصوفية الأخرى فقد ذكر محمد عثمان الميرغني أنها خلاصة الطرق الصوفية الخمس السابقة ذكرها، والغالب عليها الطريقة النقشبندية^(٧٠).

ويتابع الختمية ابن عربي ويعظمونه وأهل نخلته، ويقولون بوحدة الوجود^(٧١)، وقد قالوا بالشرك الأكبر، فزعموا أن شيوخهم يغيثون من يلتجئ بهم، ويزيلون الكربات، وأنهم وسيلة النجاة^(٧٢)، ويزعمون ما مفاده استمرار الوحي، وأنهم يتلقون من النبي ﷺ، فقد زعموا أن كل كتبهم هي من إملاء الرسول ﷺ، وأنهم تلقوا أسس طريقتهم وأورادها وتعاليمها من الرسول ﷺ^(٧٣)، وقالوا بالحقيقة المحمدية^(٧٤)، وسائر عقائد الصوفية.

ويدعى شيوخ الختمية النسب الشريف مثل كل الطرق الصوفية، وإن كان في نسبهم أسماء أعجمية، وقد تابعوا الرافضة في دعوى ولاية أهل البيت، وتابعهم الختمية في سب الصحابة رضي الله عنهم، واتهامهم بكنم ولاية علي رضي الله عنه، لكنهم يثبتون ولاية الخلفاء الراشدين، ويعتبرون أنفسهم امتداداً لولاية أهل البيت، لذلك يدعون للتقارب مع الرافضة، ومناصرتهم والدعوة لهم^(٧٥)، ومما اشتهر به الختمية السحر واستخدام الجن^(٧٦).

(٦٩) انظر: طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها د. أحمد جلي ص ١٣-٣٨، والموسوعة الميسرة ج ١/٢٩١-٢٩٤.

(٧٠) انظر: النفحات المكية واللمحات الخفية في شرح أساس الطريقة الختمية تأليف محمد بن عثمان الميرغني ضمن مجموعة النفحات الربانية ص ٦، ٧، وطائفة الختمية ص ٤٥.

(٧١) انظر: لؤلؤة الحسن الساطعة في بعض مناقب ذي الأسرار الساطعة محمد بن عثمان الميرغني تأليف ابنه جعفر ص ٤٧، والنفحات القدسية من الحضرة العباسية لعبدالله الميرغني ص ١٤٠ كلاهما (ضمن مجموعة النفحات الربانية)، ط/ الثالثة ١٤٠٠هـ، وطائفة الختمية ص ٤٥.

(٧٢) انظر: لؤلؤة الحسن الساطعة ص ٤٥، ومنحة الأصحاب لمن أراد سلوك طريق الأصفياء والأحباب ص ١١٥، (ضمن الرسائل المرغنية)، والختمية ص ٩٢-١٠٨، وقد ذكر نصوصهم وأشعارهم.

(٧٣) انظر: شرح الراتب المسمى الأسرار المترادفة في الدواوين الإلهية، (ضمن نفحات الربانية) ص ٢٩٥.

(٧٤) انظر: النفحات القدسية ص ١٤١، والختمية ص ٥٨.

(٧٥) انظر: انتسابهم للرافضة في لؤلؤة الحسن ص ٣٩ - ٤٠، انظر: الختمية ص ١٤٣ وما بعدها.

(٧٦) انظر: الختمية ص ١٢٥.

٦ . الطريقة البكتاشية :

تنسب إلى بكتاش ولي ، يروي عنه أتباعه أساطير ، وهذه الطريقة لها صلة بالإنكشارية - جيش الدولة العثمانية - ، وقد انتشرت في تركيا، وكردستان وآسيا الصغرى، وفي ألبانيا، غالب السكان على هذه الطريقة وهي طريقة صوفية في الأصل ، وحتى الآن يعتبرها أتباعها طريقة صوفية، إلا أن فيها عقائد نصرانية، ورافضية فيغلون في آل البيت، خاصة جعفر الصادق، واحلوا علي بن أبي طالب مكان عيسى عليه السلام، ويحتفلون بما يشبه العشاء الرباني عند النصارى، وعلى رؤوسهم قلنسوات أسطوانية ذات ١٢ طية ، إشارة إلى الأئمة الاثني عشر ، أئمة الشيعة .

وكانت البكتاشية في مصر في عهد الخديو إسماعيل، وحظيت بعناية أسرته، وفتحت الباب لقبول بعض النصارى، ولها ارتباط قوي بالحركة الوطنية في ألبانيا، ولها أوقاف شائعة في تركيا، ويذكر الباحثون أنها في تزايد مستمر في تركيا ومصر .

أهم عقائد :

الشرك الأكبر في دعاء الأولياء، وتأليه علي بن أبي طالب عليه السلام، ويعترفون بخطاياهم لشيخهم ويغفروها لهم، ويقولون بوحدة الأديان، والتهاون بأداء الفرائض كالصوم والصلاة والحج والزكاة والجهاد، واستباحة المحرمات مثل شرب الخمر، فالخمر عندهم مباحة، ولا يتحجب نساؤهم .

ويوم ١٦ آب هو عيدهم ، حيث يجتمع الآلاف منهم بالألبسة الزاهية ، يطوفون حول القبر المقدس في نوشهر في تركيا ، ويقومون بالرقصات والأذكار الخاصة بهم، ويطلقون على وحركاتهم في الرقص (الحضرة) ، ويبقى العيد ثلاثة أيام^(٧٧).

٧. الطريقة التجانية :

ويسمون أنفسهم الأحباب ، أسسها أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار التجاني(ت ١٢٣٩ هـ) يزعم أنه ينتسب إلى آل البيت مثل شيوخ الصوفية الذين يزعمون ذلك أخذ عدة طرق صوفية منها الطريقة الرفاعية ، ثم الطريقة الحلوتية ، طرد من عدة مدن لفساده في

^(٧٧) انظر: الكشف عن الصوفية لأول مرة في التاريخ تأليف : محمود عبد الرؤوف القاسم ص ٧٨٩-٧٩٠، ودائرة المعارف الإسلامية (البريطانية) ج٤٠/٣٧-٤٠ ، والطرق الصوفية في مصر د. زكريا ص ١٤٥، وتاريخ الطرق الصوفية في مصر فريد ص ١٣ .

الأرض ، ومن أشهر التجانيين علي بن حرازم (ت ١٢١٧ هـ) وهو مؤلف « جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني » أهم كتب الطريقة ، وغالب هذا الكتاب منقول من كتاب « المقصد الأحمد » الذي كتب سنة (١٠٩٤ هـ) وجواهر المعاني كتب سنة ١٢١٣ هـ فبينهما قرن^(٧٨)، ولم يشر مؤلفه إلى هذا النقل ، وقد كان اكتشاف « المقصد الأحمد » قاصمة الظهر للتجانيين حتى تحيروا في الإجابة عن ذلك، خاصة أن ابن حرازم قد أمر بحرق هذا الكتاب^(٧٩)، وهو في هذا مثل الغزالي الذي نقل القوت ولم يشر إلى ذلك .

وتنتشر التجانية في شمال أفريقيا وغربها، وأصول الطريقة التجانية مستقاة من أصول الصوفية، فالتجاني درس "الحكم لابن عطاء"، كما درس أحمد سيكرج من شيوخ التجانية ت(١٣٦٣هـ)، "الفتوحات المكية" لابن عربي، و"الإنسان الكامل" للجيلي.

أهم عقائدهم : الشرك الأكبر في شيوخهم^(٨٠)، فيحجون إلى فاس حيث قبر شيخهم قبل توجههم للحج إلى مكة^(٨١)، والشرك في الربوبية^(٨٢)، والقول بوحدة الوجود^(٨٣)، واستمرار النبوة والوحي لشيوخهم^(٨٤)، فزعموا أن كتبهم من إملاء رسول الله ﷺ^(٨٥)، ويقولون بالحقيقة المحمدية، والنور المحمدي^(٨٦)، وأن صلاة الفاتح أفضل من

(٧٨) انظر : التجانية ص ٦٠-٦٣.

(٧٩) انظر : التجانية ص ٥٩.

(٨٠) انظر: جواهر المعاني في فيض أبي العباس التجاني تأليف ابن حرازم ج ١/٤٦، بمامشها رماح حزب الرحيم، ط/الثانية ١٣٩٣ هـ الناشر دار الكتاب العربي بيروت، والفتح الرباني فيما يحتاجه المرید التجاني تأليف محمد عبدالله التجاني ص ٥ ، والتحفة السنوية بتوضيح الطريقة التجانية تأليف محمد الطاهر البرناوي ص ١٨٧ ولم تذكر معلومات الطبعة.

(٨١) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ج ٤/٥٩٤ .

(٨٢) انظر: جواهر المعاني ج ٢/٢٠٤، الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية تأليف د. محمد الهلاي ص ١٤٠، ط/الأولى ١٣٩٣ هـ، والتجانية ص ١٦٤ .

(٨٣) انظر: جواهر المعاني ج ٢/١٣٨، ١٤٣، ١٤١، وغالب كلامه عن وحدة الوجود ، والحقيقة المحمدية، والتجانية ص ٨٧-٨٨.

(٨٤) انظر: جواهر المعاني ج ٢/١٤٣ ، والدرة الخريفة شرح الياقوتة الفريدة للسوسي ج ١/٢١٩ ، ط/ ١٣٩٢ هـ الناشر مصطفى الباني الحلبي ، وانظر : التجانية ص ١٠٤، والتحفة السنوية للبرناوي ص ٥٤ .

(٨٥) انظر: جواهر المعاني ج ٢/٣٩، ١٤٣، الفتح الرباني ص ٧٠ .

القرآن الكريم^(٨٧)، وباقي عقائدهم مثل بقية الطرق الصوفية الأخرى، ويكثر منهم السحرة، ولهم تعاون كبير مع الاستعمار الفرنسي^(٨٨).

^(٨٦) انظر: رماح حزب الرحيم ج ٢/١٢١-١٢٠، بهامش الجواهر.

^(٨٧) انظر: جواهر المعاني ج ١/٥٠.

^(٨٨) انظر: التجانية ص ٦٦-٦٩، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٤/٥٩٤ - ٥٩٥.

آثار الطرق الصوفية على المسلمين:

١ . الشرك بالله تعالى:

الطرق الصوفية هي القائمة على سداثة القبور، وجعلوا لكل شيخ من شيوخهم قبة، وبنوا عليه البناء الضخم ، فهذا قبر البدوي له ثلاثة موالد مع أن الإنسان يولد مرة واحدة، ويزور قبره سنوياً ما يقارب ثلاثة ملايين، وتتخذ لموالده احتياطات تشبه ترتيبات الحج^(٨٩)، وفي مصر مثلاً أكثر من ١٠٠٠ ضريح ، وفي دمشق سنة ١٨٩٠م ١٩٤ ضريح ومزار، وفي الآستانة عاصمة الخلافة العثمانية ٤٨١ ضريح ومزار، بل الطرق التي لا تشرف على سداثة قبور تعتبر قليلة الموارد المادية^(٩٠)، ومؤلفات الصوفية طافحة بالشرك الأكبر كما تقدم بيانه، قال صنع الله الحلبي الحنفي (ت ١١٢٠هـ): «وانه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبلبات، وبهممهم تنكشف المهمات ، فيأتون قبورهم ، وينادونهم في قضاء الحاجات، وهذا - كما ترى - كلام فيه الهلاك الأبدي، والعذاب السرمدى، لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادرة الكتاب العزيز المصدق، ومخالفة لعقائد الأئمة، وما اجتمعت عليه هذه الأمة»^(٩١)، وقدر عليه جمع من أئمة المسلمين كما تقدم ذكر بعضهم، فمما هو شائع عندهم طلب الإمداد من المقبورين، كقولهم: «مدد ياسيدي أحمد البدوي ، مدد ياحسين ، مدد يا سيدة ، مدد يا أم هاشم ، مدد يا عبد القادر الجيلاني»، وهذا والله الضلال المبين، والإفك المستبين^(٩٢) .

٢- أنها أدخلت على المسلمين الكثير من العقائد المنحرفة ، والتصورات الفاسدة والشركية ، وأصبح التصوف هو العبادة التي يرتديها كثير من الزنادقة ، كأهل الحلول والاتحاد

^(٨٩) انظر : عقيدة المسلم للغزالي ص ٨٠، ط/ الكتب الحديثة القاهرة، وسيرة أحمد البدوي لنور الدين الحلبي ت/أحمد خلف الله ص ١٢٤-١٢٥، ط/الأولى ١٩٦٤م الناشر مطبعة محمد عاطف وشركاه، ودمعة على التوحيد (مجموعة مقالات) فسطاط الخرافة ص ٢٦-٢٧، والكتب في الرد هذا الباطل كثيرة جدا ، لكن اغلب ما أذكر هنا سبق الإشارة إليه في ثنايا البحث.

^(٩٠) انظر : تاريخ الطرق الصوفية في مصر تأليف فريد دي يونج ص ٢٤ .

^(٩١) انظر : سيف الله على من كذب على أولياء الله تأليف صنع الله الحلبي الحنفي ، تقديم : فضيلة الشيخ صالح الفوزان ، ت/ علي رضا ص ١٥-١٦ ، .

^(٩٢) انظر : نظرات وتأملات من واقع الحياة تأليف د. محمد الخميس ص ٢٦٨ .

، والقائلين بتناسخ الأرواح ، وغيرهم، فالرب تبارك وتعالى يخاطبونه، ويعرجون إليه، ويرونه دائماً وفي كل وقت، والوحي يتلقونه من الله تعالى، وكل كتبهم المليئة بالضلال والكفر من إملاء الرسول ﷺ بزعمهم، ويزعمون أن الرسول ﷺ نور خلقت منه الأكوان، وينفون صفة النور عن الرب تعالى، ويرون تلاعب الشياطين بهم والسحر كرامات، وأن أورادهم أفضل من القرآن، ولا يقرؤونها إلا على طهارة كاملة، وأن شيوخهم أفضل من الأنبياء، إلى آخر هذه الضلالات فكلها منصوص عليها في كتبهم، كما تقدمت الإشارة إليها، ولهذا نجد كثيراً من شيوخ الطرق الصوفية من أعوان الكفار مثل الاستعمار الفرنسي وبعضهم أعضاء في أحزاب علمانية تحارب دين الله عز وجل .

٣- انتشار السحر بينهم ، فالسحرة في بلاد الإسلام الغالبية العظمى منهم الطرقية، وقد اشتهرت بعض الطرق المتأخرة باستخدام الجن ومخاطبتهم مثل التجانية الحتمية وغيرهم^(٩٣)، ولما تضمنه أورد الطرق من مخاطبتهم للجن، والاستغاثة بهم كما تقدم في الكلام على أورد القادرية والشاذلية .

٤ . تفريق شمل المسلمين إلى فرق وأحزاب ، وشيع ما أنزل الله بها من سلطان، وهذا ظاهر جداً حتى بين الطرق الصوفية نفسها، فكل شيخ منهم يحرم على اتباعه زيارة غيره من المشايخ، وزاد بعضهم حتى الأموات^(٩٤)، وقد طبقوا هذا التقاطع عملياً بينهم، ومع غيرهم من المسلمين، ودائماً ما تقوم بينهم الصراعات على سدانة قبر مثل الصراع على قبر البدوي، والإمبابي، والدسوقي، وعلى احتكار المناطق، والصراع على مشيخة الطرق^(٩٥)، كما قال تعالى^(٩٦)، فحقيقة حالهم أنهم اقتسموا المسلمين بينهم، وجل اهتمامهم على الدعوة لأنفسهم ولطرقهم بكل وسيلة ممكنة^(٩٧)، قال النبي ﷺ « لا حلف في الإسلام، وأبما حلف

^(٩٣) انظر : أصول التصوف د. عبدالله زروق ص ٨٩ والختمية ص ١٢٥ .

^(٩٤) انظر: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية للشعراني ت/ طه عبد الباقي والسيد محمد الشافعي ص ٣٩ ط/

الأولى ١٤١٢ هـ الناشر المكتبة العلمية بيروت ، والفتح الرباني فيما يحتاجه المرید التجاني ص ٤٥-٤٦ .

^(٩٥) انظر : تاريخ الطرق الصوفية في مصر فريد يونس ص ١٥-١٧ .

^(٩٦) سورة الحشر الآية: ١٤ .

^(٩٧) انظر : تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ج ١/٣٤٦ .

كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة»^(٩٨)، فالمسلمون أمة واحدة ويجب على المسلم موالاة المؤمنين ومحبتهم.

٥. محاربة أهل العلم والصلاح من المسلمين، فكتبهم القديمة والحديثة تتضمن على ذم أهل الظاهر وهم علماء المسلمين، لكن نستشهد ببعض الوقائع المعاصرة، فمثلاً عندما أصدر مفتي مصر فتوى ببطلان النذور شرعاً، ردوا على هذه الفتوى وثاروا وحجتهم وزارة الأوقاف^(٩٩)، وعندما انتقدهم العالم الرومي التركي في مصر من مشايخ الأزهر وبين الحق سعوا عند الحاكم في زمنه حتى نفاه، وفي عصر الدولة الملكية بمصر لا يعين شيخ الأزهر إلا بموافقة شيخ من مشايخ الطرق الصوفية ولذلك أصبح بعد ذلك أداة طيعة لنشر التصوف في بلاد المسلمين^(١٠٠).

٦. محاربتهم لأي إصلاح للطرق، حتى ولو كان شكلياً ففي سنة ١٨٨١م صدر قرار شيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر المتضمن إصلاح بعض المظاهر الشكلية مثل: منع ضرب أنفسهم بالكرات الحديدية، ومنع الغناء، ومنع استخدام السيوف في الاحتفالات، ومنع أكل الفحم المشتعل والثعابين، وعدم الاحتفال بموالد جديدة، ومنع شيوخ الطرق من حضور حفلات الختان والزواج والتمائم بأجر مادي، وغير ذلك، رفضها شيوخ الطرق الصوفية وتمردوا على سلطته حتى توفي، وجاء من بعده وتراجع عنها^(١٠١)، كما اعترضوا على الإصلاح في سنة ١٩٠٣م^(١٠٢).

٧. من هذه الأضرار البالغة ما يظهر في احتفالاتهم وموالدهم من المفاسد الخلقية العظيمة، كاختلاط الرجال بالنساء، ورقصهم وغنائهم، وتبرج النساء، وشيوع شرب الخشيش والمخدرات، بل والزنا، بحيث إن هذه الموالد أصبحت في كثير من الأحيان بمثابة مواسم

^(٩٨) أخرجه مسلم في كتاب (فضائل الصحابة، باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه) ج٤/١٩٦١ رقم الحديث ٢٣٥٠.

^(٩٩) انظر: الطرق الصوفية د. زكريا ص ١٠٤ - ١٠٥ .

^(١٠٠) انظر: نفس المرجع ص ٨٣ - ٨٤ .

^(١٠١) انظر: تاريخ الطرق الصوفية فريد يونج ص ٩٦-١٠٠ وانظر: نص القرار في ص ١٢١ - ١٢٢ .

^(١٠٢) انظر: تاريخ الطرق الصوفية فريد يونج ص ١٦٨-١٦٩ .

وأسواق يقصدها أهل الفحش والزنا والفجور، لمعاقرة كل أنواع الفواحش، وأين كل هذا من دين الله - عز وجل -؟!.

ويدل على هذا منع احتفالات الموالد في عدة مواضع فألغى المولد سنة ١٨٥٢هـ عند قبر البدوي لما فيه من فساد أخلاق وارتكاب المحرمات والفسق والفجور، وكونها مجتمعا للمنافقين^(١٠٣)، وأحيانا تمنع بناءً على طلب المجلس الصوفي الأعلى لهذه الحثيات^(١٠٤).

٨- الطرق الصوفية تبث روح الكسل والخمول، والتواكل بين المسلمين، وعدم الجد في أمور الدين والدنيا، وعدم الأخذ بأسباب القوة في مواجهة أعداء الإسلام، حتى إنهم لم يعرف عنهم وقوف في وجه الأعداء، بل للطرق ارتباط مشهور بالاستعمار الغربي فمثلاً: الختمية مرتبطة بالاستعمار البريطاني، والتجانية مرتبطة بالاستعمار الفرنسي، وتعاون شيخ الطريقة البكرية مع الفرنسيين أثناء احتلال مصر سنة ١٧٩٨م، ومع البريطانيين أيضاً وفي سنة ١٩١٩م قام شيخ الطريقة السمانية بجمع توقيعات تطالب ببقاء الانجليز^(١٠٥).

٩- ظن كثير من غير المسلمين أن أفعال الصوفية واعتقاداتهم وتصرفاتهم هي دين الإسلام، فمثلاً: بعض الطرق انتسب لها نصارى كالطريقة البكتاشية، والرومي كتب على قبره للديانات الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام^(١٠٦)، كما يلاحظ اتفاق الطريقة مع النصارى في تعظيم أحد الأولياء في مصر ويسمى العريان^(١٠٧)، فيظن أولئك أنهم على حق وإلا لم يوافقوهم.

ومن أعمال الطرق في المولد قيام شيخ الطريقة السعدية بالسير بحصانه فوق أعضاء طريقته المنبطحين أرضاً، وتسمى الدوسة، وقد منع أيام الاستعمار البريطاني لمصر^(١٠٨).

(١٠٣) انظر: سير أحمد البدوي ص ١٣٥.

(١٠٤) انظر: الطرق الصوفية في مصر د. زكريا ص ٩٩-١٨٠.

(١٠٥) انظر: أصول التصوف د. زروق ص ٨٨-٨٩، وتاريخ الطرق الصوفية فريد ص ٩-١٠، ١١٩، والطرق الصوفية في مصر د. زكريا ص ٣١.

(١٠٦) انظر: دعمة التوحيد على التوحيد (مجموعة مقالات) قبس من الظلمات إعداد: خالد أبو الفتوح ص ١٢١.

(١٠٧) انظر: دعمة التوحيد على التوحيد (مجموعة مقالات) من لهذه الوثنية المتعددة إعداد: إسماعيل العتيق ص ٥٥-

(١٠٨) انظر: تاريخ الطرق الصوفية في مصر فريد ص ٦٢.

وما يدري هؤلاء أن الإسلام برئ من أفعال أولئك الطرقية، وما درى أولئك أنهم صدوا عن سبيل الله بأفعالهم، وأين كل هذا مما أمر الله به وشرعه لعباده؟!^(١٠٩).

١٠. الاستغلال السيء لأوقاف المسلمين، سواء بصرفها فيما يضرهم في دينهم ودنياهم، أو دعوتهم للبذل لأصنامهم، والأمة اليوم بأشد الحاجة الي هذه الأوقاف، وأحيانا التلاعب بها وصرفها في وجوه غير مشروعة، أو سرقته^(١١٠)، أو صرفها في الدعوة للشرك وتعليمه، وهو أعظم أسباب هوان الأمة، فمثلاً: يلحق بأضرحتهم وأوثانهم معاهد لتعليم الشرك ونشره في الأرض مثل معهد الأحمدي وغيره^(١١١).
وأضرارهم على الأمة كثيرة، وأكتفي بهذا القدر والله ولى التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

^(١٠٩) انظر: نظرات وتأملات من واقع الحياة تأليف د. محمد الخميس ص ٢٧١.

^(١١٠) انظر : تاريخ الطرق الصوفية فريد ص ٢٣ ، والطرق الصوفية في مصر د. زكريا ص ٩٩، وما بعدها .

^(١١١) انظر : سيرة أحمد البدوي ص ١٥٤-١٥٥ .